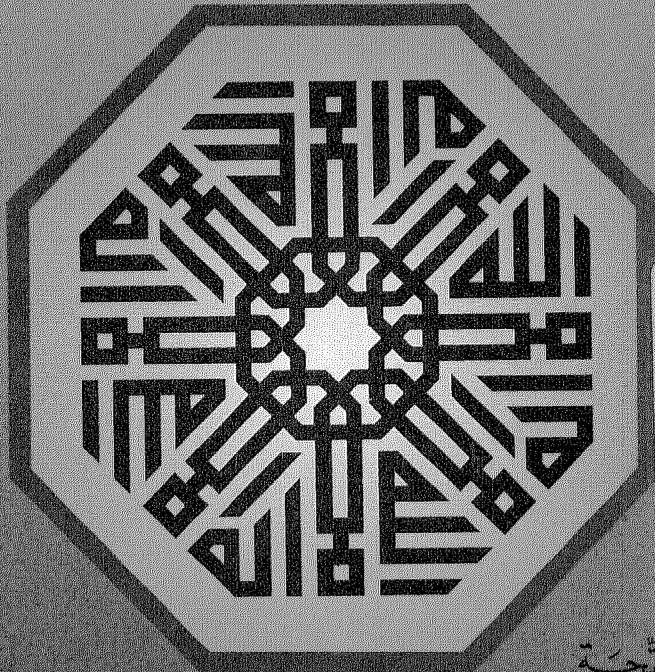
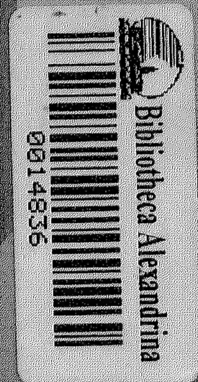
العقيدة في ضوء الكتاب والسنة　٢

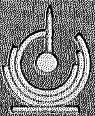
عالم الملائكة الأبرار

الدكتور عمر سليمان الأشقر





طبعة جديدة ومنقحة



دار النفائس
للنشر والتوزيع - الأردن

عالم الملائكة الأبرار

الطبعة السابعة
١٤١٥ هـ ــ ١٩٩٥م



دار النفائس
للنشـــر والتوزيـــع

العبدلي مقابل عمارة جوهرة القدس
هاتف : ٤٠ ٣٩ ٦٩ ـ فاكس : ٤١ ٣٩ ٦٩
ص.ب : ٢١١٥١١ عمان ١١١٢١ الأردن

العقيدة في ضوء الكتاب والسنة (٢)

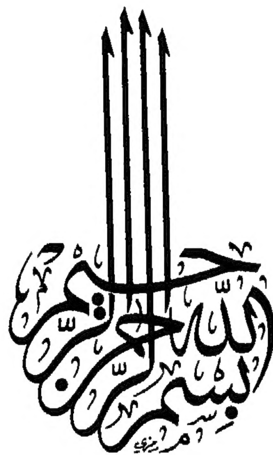
عالم الملائكة الأبرار

تأليف

الدكتور عمر سليمان الأشقر



دار النفائس
للنشر والتوزيع - الأردن



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وبعد :

فالإيمان بالملائكة أصل من أصول الاعتقاد ، لايتم الإيمان إلا به ، والملائكة عالم من عوالم الغيب التي امتدح الله المؤمنين بها ، تصديقاً لخبر الله سبحانه وإخبار رسوله ﷺ

وقد بَسَطت النصوص من الكتاب والسنة هذا الموضوع وبينت جوانبه، ومن يطالع هذه النصوص في هذا الجانب ، يصبح الإيمان بالملائكة عنده واضحاً ، وليس فكرةً غامضة ، وهذا مما يعمق الإيمان ويرسخه ؛ فإن المعرفة التفصيلية أقوى وأثبت من المعرفة الإجمالية .

وما أطالت النصوص التفصيل والتوضيح في هذا الموضوع إلا لأن العقل الإنساني لا يستطيع التوصل إلى ما يهمه معرفته عن الملائكة بنفسه ، فحواس الإنسان أعجز من أن ترى الملائكة ، وتسمع أحاديثهم ، ولا شك أنَّ هذا العجز في صالح الإنسان ، فلو كان الإنسان يسمع ويرى كل ما يحيط به ، لما أطاق الحياة ، وحسبنا أن نتصور أنَّ إنساناً تلتقط أذنه ما يلتقطه المذياع من أصوات ؛ لنعلم البلاء الذي يحلّ بهذا المسكين الذي لا بدَّ أن يصاب بالذهول والجنون .

ولا يظنن أحدٌ أن دراسة هذا الأصل من فضول العلم ؛ فإن الحقائق التي تسوقها النصوص في هذا الموضوع لها تأثير كبير في نفي الخرافة والزيف عن العقول في هذا الأصل ، فقد انتشر منذ القديم القول بألوهية الملائكة ، أو أنَّ الملائكة بنات الله ، ويرى بعض الفلاسفة أنَّ الملائكة هم الأفلاك التي نراها في الفضاء .

وهذه الحقائق التي جاءت بها النصوص تعمق في نفوسنا الإيمان بالإله المعبود ، المهيمن على هذا الوجود ، الذي وضع جنوده من الملائكة ؛ للقيام على مختلف أمور الكون .

وعلاقة الملائكة بنا ، تكويناً وإيجاداً ومراقبة ، توحي للإنسان بأهميته وقيمته ، وتنفي من فكره القول بتفاهته وحقارته ، وبذلك يقدّر قدر نفسه ، ويسعى جاهداً لتحقيق الدور العظيم الذي عليه أن يقوم به .

ولو ذهبنا نعدد الآثار الطيبة التي يجنيها المرء من إيمانه بالملائكة ، ودراسة النصوص التي تتحدث عنهم ، لطال القول في هذه المقدمة ، إلا أنني أترك للقارئ أن يعيش مع النصوص ، فتمده - حين يتأمل فيها - بموحياتها وآثارها .

والله تعالى نسأل أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

عمر سليمان الأشقر
٢٠/ذي القعدة/١٣٧٨هـ
١٩٧٨/٩/٢٢م
الكويت

المقـدمة

التعريف بالملائكة والإيمان بهم :

الملائكة عالم غير عـالم الإنس وعالم الجن ، وهو عالم كريم ، كله طهر وصفاء ونقاء ، وهم كرام أتقياء ، يعبدون الله حق العبادة ، ويقومون بتنفيذ ما يأمرهم به ، ولا يعصون الله أبداً .

وسنرى عبـر نصـوص الكتـاب والسنة صفـاتهم التي حدثتنا بـهـا النصوص .

والملك أصله : ألـكَ ، والمألكة ، والمألكُ : الرسـالـة . ومنه اشـتق الملائك ؛ لأنهم رسل الله .

وقيـل : اشـتق من (لَ أ ك) والملأكـة : الرسـالة ، والـكني إلى فلان؛ أي بلغه عني ، والملأك : الملك ؛ لأنه يبلغ عن الله تعالى .

وقال بعض المحققـين : الملك من الملك . قال : والمتولي من الملائكة شيئاً من السياسات يقال له مَلَك ، ومن البشر مَلِك[1] .

والإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان ، لا يصح إيمان عـبد ما لم يؤمن بهم ، قـال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾[2] .

---

(١) راجع : بصائر ذوي التمييز ، للفيروز آبادي : ٤/٥٢٤ .
(٢) سورة البقرة : ٢٨٥ .

كيف يكون الإيمان بالملائكة

نقل السيوطي عن البيهقي في كتابه (شعب الإيمان) : « أن الإيمان بالملائكة ينتظم في معانٍ :

أحدها : التصديق بوجودهم .

الثاني : إنزالهم منازلهم ، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه ، كالإنس والجن مأمورون مكلفون ، لايقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه ، والموت عليهم جائز ، ولكنّ الله تعالى جعل لهم أمداً بعيداً ، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى، ولا يدعون آلهة كما دعتهم الأوائل .

الثالث : الاعتراف بأنّ منهم رسلاً يرسلهم إلى من يشاء من البشر ، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض ، ويتبع ذلك الاعتراف بأنّ منهم حملة العرش ، ومنهم الصافّون ، ومنهم خزنة الجنّة ، ومنهم خزنة النار ، ومنهم كتبة الأعمال ، ومنهم الذين يسوقون السحاب ، فقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره »[1] .

وهذا الكتاب فيه تفصيل لما جاءَت به النصوص في الإيمان بالملائكة .

---

(١) الحبائك في أخبار الملائك ، للسيوطي: ص١٠ . وانظر مختصر شعب الإيمان: ١/ ٤٠٥ - ٤٠٦ .

الفصل الأول

صفاتهم وقدراتهم

سنحاول في هذا الفصل أن نتبين من خلال النصوص الصحيحة صفات الملائكة الخَلقية والخُلقية ، ثم نتحدث عن القدرات التي وهبهم الله إياها .

المبحث الأول

الصفات الخلقية وما يتعلق بها

المطلب الأول : مادة خلقهم ووقته

إنّ المادة التي خلقوا منها هي النور ؛ ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها : أن رسول الله ﷺ قال : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)[1] .

ولم يبين لنا الرسول ﷺ أي نور هذا الذي خلقوا منه ، ولذلك فإننا لا نستطيع أن نخوض في هذا الأمر لمزيد من التحديد ؛ لأنه غيب لم يرد فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث .

---

(١) صحيح مسلم : ٢٢٩٤/٤ . ورقمه ٢٩٩٦ .
وبعض الذين ينسبون إلى العلم يردون هذا الحديث وأمثاله زاعمين أنه حديث آحاد ، وأنّ حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة ، وقد ناقشت هذا القول وبينت بطلانه في رسالة بعنوان : (أصل الاعتقاد) .

وما روي عن عكرمة أنه قال : (خلقت الملائكة من نور العزة ، وخلق إبليس من نار العزة) ، وما روي عن عبدالله بن عمرو أنه قال : (خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر) ، لا يجوز الأخذ به ، وعلى فرض صحته عن هؤلاء العلماء الأفاضل فهم غير معصومين ، ولعلهم قد استقوه من الإسرائيليات[1] .

وأما ما ذكره ولي الله الدهلوي من : « أن الملأ الأعلى ثلاثة أقسام: قسم علم الحقُّ أن نظام الخير يتوقف عليهم ، فخلق أجساماً نورية بمنزلة نار موسى ، فنفخ فيها نفوساً كريمة .

وقسم اتفق حدوث مزاج في البخارات اللطيفة من العناصر استوجب فيضان نفوس شاهقة شديدة الرفض ؛ (أي الترك) للألوات البهيمية .

وقسم هم نفوس إنسانية قريبة المأخذ من الملأ الأعلى ، ما زالت تعمل أعمالاً منجية تفيد اللحوق بهم ، حتى طرحت عنها جلابيب أبدانها، فانسلكت في سلكهم ، وعدّت منهم »[2] .فلا يوجد دليل صحيح يدل على صحة هذا التقسيم بهذا التفصيل والتحديد .

ولا ندري متى خلقوا ، فالله - سبحانه - لم يخبرنا بذلك ، ولكننا نعلم أنَّ خلقهم سابق على خلق آدم أبي البشر ، فقد أخبرنا الله أنه أعلم ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[3] ، والمراد بالخليفة آدم عليه السلام ، وأمرهم بالسجود له حين خلقه : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[4] .

---

(١) راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة : ١/١٩٧ .
(٢) الحجة البالغة : ص٣٣ .
(٣) سورة البقرة : ٣٠ .
(٤) سورة الحجر : ٢٩ .

رؤية الملائكة :

ولما كانت الملائكة أجساما نورانية لطيفة ، فان العباد لا يستطيعون رؤيتهم ، خاصة أن الله لم يعط أبصارنا القدرة على هذه الرؤية .

ولم ير الملائكة في صورهم الحقيقة من هذه الأمة إلا الرسول ﷺ ، فإنه رأى جبريل مرتين في صورته التي خلقه الله عليها ، وقد دلت النصوص على أن البشر يستطيعون رؤية الملائكة ، إذا تمثل الملائكة في صورة بشر .

المطلب الثاني : عظم خلقهم

قال الله تعالى في ملائكة النار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[1] .

وسأكتفي بسوق الأحاديث التي تتحدث عن ملكين كريمين فحسب .

عظم خلق جبريل عليه السلام :

رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام على صورته الملائكية التي خلقه الله عليها مرتين، هما المذكورتان في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴾[2] ، وفي قوله: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴾[3]، عندما عرج به إلى السموات العلا.

---

(١) سورة التحريم : ٦ .
(٢) سورة التكوير : ٢٣ .
(٣) سورة النجم : ١٣ - ١٥ .

وقد ورد في صحيح مسلم : أن عائشة رضي الله عنها سألت الرسول ﷺ عن هاتين الآيتين فقال ﷺ : (إنما هو جبريل ، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين .

رأيته منهبطا من السماء ، سادًا عظم خَلْقه ما بين السماء إلى الأرض)[1] .

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ [2]، فقالت : « إنما ذلك جبريل عليه السلام، كان يأتيه في صورة الرجال، وإنه أتاه في هذه المرة في صورته ، التي هي صورته ، فسدَّ أفق السماء »[3] .

وورد في صحيح البخاري عن عبدالله بن مسعود أنه قال : « رأى محمد ﷺ جبريل له ستمائة جناح »[4] .

وقال ابن مسعود أيضاً في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[5] «أي رفرفا أخضر قد سدّ الأفق»[6]. وهذا الرفرف الذي سدّ الأفق هو ما كان عليه جبريل ، فقد ذكر ابن حجر أن النسائي والحاكم رويا من طريقهما عن ابن مسعود قال : « أبصر نبي الله ﷺ جبريل عليه السلام على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض »[7] .

وذكر ابن حجر أن ابن مسعود قال في رواية النسائي : « رأى محمد ﷺ جبريل له ستمائة جناح قد سدَّ الأفق » [8] .

---

(١) صحيح مسلم : ١٥٩/١ . ورقم الحديث : ١٧٧ .
(٢) سورة النجم : ٨ .
(٣) صحيح مسلم : ١٦٠/١ . ورقمه : ١٧٧ .
(٤) صحيح البخاري : ٦١٠/٨ . ورقمه : ٤٨٥٦ ، ٤٨٥٧ .
(٥) سورة النجم : ١٨ .
(٦) صحيح البخاري : ٦١١/٨ . ورقمه : ٤٨٥٨ .
(٧) فتح الباري : ٦١١/٨ .
(٨) فتح الباري : ٦١١/٨ .

وفي مسند الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود قال : « رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته ، وله ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سدّ الأفق . يسقط من جناحه التهاويل[1] من الدرر واليواقيت » .

قال ابن كثير في هذا الحديث : « إسناده جيد »[2] .

وقال في وصف جبريل : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾،[3] والمراد بالرسول الكريم هنا : جبريل ، وذي العرش : رب العزة سبحانه .

عظم خلقة حَمَلة العرش :

روى أبو داود عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله ، من حملة العرش ، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام)[4] .

ورواه ابن أبي حاتم وقال : (تخفق الطير) . قال محقق مشكاة المصابيح : « إسناده صحيح »[5] .

وروى الطبراني في معجمه الأوسط بإسناد صحيح عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : (أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش ، رجلاه في الأرض السفلى ، وعلى قرنه العرش ، وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام ، يقول ذلك الملك : سبحانك حيث كنت)[6] .

---

(١) التهاويل : الأشياء المختلفة الألوان .
(٢) البداية والنهاية : ٤٧/١ .
(٣) سورة التكوير : ١٩-٢١ .
(٤) صحيح سنن أبي داود : ٨٩٥/٣ . ورقمه : ٣٩٥٣ .
(٥) مشكاة المصابيح : ١٢١/٣ . وانظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، حديث رقم : ١٥١ .
(٦) صحيح الجامع الصغير . الطبعة الثالثة : ٢٠٨/١ . ورقمه : ٨٥٣ .

المطلب الثالث : أهم الصفات الخلقية

أولاً : أجنحة الملائكة :

للملائكة أجنحة كما أخبرنا الله تعالى ، فمنهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، أو أربعة ، ومنهم من له أكثر من ذلك : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] .

والمعنى أن الله جعلهم أصحاب أجنحة ، بعضهم له جناحان ، وبعضهم له ثلاثة أو أربعة ، أو أكثر من ذلك .

وقد سبق ذكر الأحاديث التي يخبر فيها الرسول ﷺ أن لجبريل ستمائة جناح .

ثانياً : جمال الملائكة :

خلقهم الله على صور جميلة كريمة كما قال تعالى في جبريل : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾[2] . قال ابن عباس : (ذو مرة): ذو منظر حسن ، وقال قتاده : ذو خلق طويل حسن . وقيل : ذو مرة: ذو قوة . ولا منافاة بين القولين ، فهو قوي وحسن المنظر .

وقد تقرر عند الناس وصف الملائكة بالجمال ، كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقبح ، ولذلك تراهم يشبهون الجميل من البشر بالملك ، انظر إلى ما قالته النسوة في يوسف الصديق عندما رأيته: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١ ﴾[3] .

---

(١) سورة فاطر : ١ .
(٢) سورة النجم : ٥-٦ .
(٣) سورة يوسف : ٣١ .

ثالثاً : هل بين الملائكة والبشر شبه في الشكل والصورة :

روى مسلم في صحيحه ، والترمذي في سننه عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال : (عرض علي الأنبياء ، فإذا موسى ضرب من الرجال[1] ، كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى ابن مريم ، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود ، ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه ، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبُكم ، (يعني نفسه) .

ورأيت جبريل عليه السلام ، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً دحية ، وفي رواية : (دحية بن خليفة)[2] .

فهل هذا الشبه كائن بين صورة جبريل الحقيقية وصورة دحية الكلبي ، أم هو بين الصورة التي يكون بها جبريل عندما يتمثل في صورة بشر ؟! الأرجح هذا الأخير ؛ لما سيأتي أن جبريل كان يتمثل في صورة دحية كثيراً.

رابعاً : تفاوتهم في الخلق والمقدار :

الملائكة ليسوا على درجة واحدة في الخلق والمقدار ، فبعض الملائكة له جناحان ، وبعضهم له ثلاثة ، وجبريل له ستمائة جناح ، ولهم عند ربهم مقامات متفاوتة معلومة : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾[3]

وقال في جبريل ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾[4]؛ أي له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله.

وأفضل الملائكة هم الذين شهدوا معركة بدر ، ففي صحيح البخاري

---

(١) الضرب من الرجال : هو الرجل المتوسط في كثرة اللحم وقلته . وقيل : الخفيف اللحم .
(٢) صحيح مسلم : ١٥٣/١ . ورقمه : ١٦٧ .
(٣) سورة الصافات : ١٦٤ .
(٤) سورة التكوير : ١٩-٢٠ .

عن رفاعة بن رافع : أن جبريل جاء للنبي ﷺ فقال : (ما تعدّون أهل بدر فيكم؟ قال : من أفضل المسلمين ، أو كلمة نحوها ، قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة)[1] .

خامساً : لا يوصفون بالذكورة والأنوثة :

من أسباب ضلال بني آدم في حديثهم عن عوالم الغيب أن بعضهم يحاول إخضاع هذه العوالم لمقاييسه البشرية الدنيوية ، فنرى واحداً من هؤلاء يعجب في مقال له من أن جبريل كان يأتي الرسول ﷺ بعد ثوان من توجيه سؤال إلى الرسول ﷺ يحتاج إلى جواب من الله، فكيف يأتي بهذه السرعة الخارقة ، والضوء يحتاج إلى ملايين السنوات الضوئية ؛ ليصل إلى بعض الكواكب القريبة في السماء .

وما درى هذا المسكين أن مثله كمثل بعوضة ، تحاول أن تقيس سرعة الطائرة بمقياسها الخاص ، لو تفكر في الأمر ، لعلم أن عالم الملائكة له مقاييس تختلف تماماً عن مقاييسنا نحن البشر .

ولقد ضلّ في هذا المجال مشركو العرب الذين كانوا يزعمون أن الملائكة إناثاً ، واختلطت هذه المقولة المجافية للحقيقة عندهم بخرافة أعظم وأكبر ؛ إذ زعموا أن هؤلاء الإناث بنات الله .

وناقشهم القرآن في هاتين القضيتين ، فبين أنهم - فيما ذهبوا إليه - لم يعتمدوا على دليل صحيح ، وأن هذا القول قول متهافت ، ومن عجب أنهم ينسبون لله البنات ، وهم يكرهون البنات ، وعندما يبشر أحدهم بأنه رزق بنتاً يظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، وقد يتوارى من الناس خجلاً من سوء ما بُشر به ، وقد يتعدى هذا المأفون طوره ،فيدس هذه المولودة في

---

(1) رواه البخاري : ٣١٢/٧ . ورقمه : ٣٩٩٢ .

التراب ، ومع ذلك كله ينسبون لله الولد ، ويزعمون أنهم إناث ، وهكذا تنشأ الخرافة، وتتفرع في عقول الذين لا يتصلون بالنور الإلهي .

استمع إلى الآيات التالية تحكي هذه الخرافة وتناقش أصحابها : ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴾[1] .

وقد جعل الله قولهم هذا شهادة سيحاسبهم عليها ، فإن من أعظم الذنوب القول على الله بغير علم: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[2] .

سادساً : لا يأكلون ولا يشربون :

أشرنا من قبل أنهم لا يوصفون بالذكورة والأنوثة ، وكذلك هم لا يحتاجون إلى طعام البشر وشرابهم ، فقد أخبرنا الله أن الملائكة جاؤوا إبراهيم في صورة بشر ، فقدّم لهم الطعام ، فلم تمتد أيديهم إليه ، فأوجس منهم خيفة ، فكشفوا له عن حقيقتهم ، فزال خوفه واستغرابه : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾[3] .

وفي آية أخرى قال : ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ

---

(١) سورة الصافات : ١٤٩-١٥٦ .

(٢) سورة الزخرف : ١٩ .

ومن هنا يجب أن يحذر المسلم في أن يتقول في مثل هذه الأمور بلا علم ، فهؤلاء الذين يزعمون أن أصل الإنسان حيوان : قرد ، أو غيره ، يقال لهم القول نفسه : ﴿ أشهدوا خلقهم؟ ستكتب شهادتهم ﴾ ، والله يقول : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ﴾ سورة الكهف : ٥١ .

(٣) سورة الذاريات : ٢٤-٢٨ .

خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾[1] .

ونقل السيوطي عن الفخر الرازي : أن العلماء اتفقوا على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون[2] .

سابعاً : لا يملّون ولا يتعبون :

والملائكة يقومون بعبادة الله وطاعته وتنفيذ أوامره ، بلا كلل ولا ملل، ولا يدركهم ما يدرك البشر من ذلك ، قال تعالى في وصف ملائكته : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[3] .

ومعنى لا يفترون : لا يضعفون . وفي الآية الأخرى﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴾[4] . تقول العرب: سئم الشيء : أي ملّه .

وقد استدل السيوطي بقوله ﴿لَا يَفْتُرُونَ ﴾ على أن الملائكة لا ينامون، ونقله عن الفخر الرازي[5].

ثامناً : منازل الملائكة :

منازل الملائكة ومساكنها السماء ، كما قال تعالى : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[6] .

وقد وصفهم الله تعالى بأنهم عنده: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩﴾[7]

---

(١) سورة هود : ٧٠ .
(٢) الحبائك في أخبار الملائك : ص٢٦٤ .
(٣) سورة الأنبياء : ٢٠ .
(٤) سورة فصلت : ٣٨ .
(٥) الحبائك في أخبار الملائك : ص٢٦٤ .
(٦) سورة الشورى : ٥ .
(٧) سورة فصلت : ٣٨ .

وينزلون إلى الأرض بأمر الله لتنفيذ مهمات نيطت بهم ، ووكلت إليهم: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾[1] .ويكثر نزولهم في مناسبات خاصة كليلة القدر : ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾[2] .

تاسعاً : أعداد الملائكة :

الملائكة خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم : ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾[3] .

وإذا أردت أن تعلم كثرتهم ، فاسمع ما قاله جبريل عن البيت المعمور ، عندما سأله الرسول ﷺ عنه عندما بلغه في الإسراء : (هذا البيت المعمور يصلي فيه في كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون إليه آخر ما عليهم)[4] .

وفي صحيح مسلم عن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال : (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)[5] .فعلى ذلك فإن الذين يأتون بجهنم يوم القيامة تسعة وأربعون مليون ملك .

وإذا تأملت النصوص الواردة في الملائكة التي تقوم على الإنسان علمت مدى كثرتهم، فهناك ملك موكل بالنطفة ، وملكان لكتابة أعمال كل إنسان، وملائكة لحفظه ، وقرين ملكي لهدايته وإرشاده .

---

(١) سورة مريم : ٦٤ .
(٢) سورة القدر : ٣-٤ .
(٣) سورة المدثر : ٣١ .
(٤) رواه البخاري : ١٠٣/٦ . ورقمه : ٢٢٠٧ . ورواه مسلم : ١٤٦/١ . ورقمه : ١٦٢ . واللفظ للبخاري .
(٥) صحيح مسلم : ٢١٨٤/٤ . ورقمه : ٢٨٤٢ .

عاشراً : أسماء الملائكة :

للملائكة أسماء ، ونحن لا نعرف من أسماء الملائكة إلا القليل ، وإليك الآيات التي ورد فيها أسماء بعض الملائكة :

١ ,٢ - جبريل وميكائيل :

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾[1] .

وجبريل هو الروح الأمين المذكور في قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾[2] .

وهو الروح المعني في قوله: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾[3] .

وهو الروح الذي أرسله إلى مريم : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾[4] .

٣ - إسرافيل :

ومن الملائكة إسرافيل الذي ينفخ في الصور .

وجبريل وميكائيل وإسرافيل هم الذين كان يذكرهم الرسول ﷺ ، في دعائه عندما يستفتح صلاته من الليل : (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحقّ بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)[5] .

---

(١) سورة البقرة : ٩٧-٩٨ .
(٢) سورة الشعراء : ١٩٣-١٩٤ .
(٣) سورة القدر : ٤ .
(٤) سورة مريم : ١٧ .
(٥) رواه مسلم عن عائشة أم المؤمنين : ١/٥٣٤ . ورقمه : ٧٧٠ .

٤ - مالك :

ومنهم مالك خازن النار: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾[١] .

٥ - رضوان :

قال ابن كثير : « وخازن الجنَّة ملك يقال له رضوان ، جاء مصرحاً به في بعض الأحاديث »[٢] .

٦, ٧ - منكر ونكير :

ومن الملائكة الذين سماهم الرسول ﷺ منكر ونكير ، وقد استفاض في الأحاديث ذكرهما في سؤال القبر .

٨, ٩ - هاروت وماروت :

ومنهم ملكان سماهما الله باسم (هاروت وماروت) قال تعالى : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[٣] .

ويبدو من سياق الآية أن الله بعثهما فتنة للناس في فترة من الفترات، وقد نُسجت حولهما في كتب التفسير وكتب التاريخ أساطير كثيرة ، لم يثبت شيء منها في الكتاب والسنة ، فيكتفى في معرفة أمرهما بما دلت عليه الآية الكريمة .

---

(١) سورة الزخرف : ٧٧ .
(٢) البداية والنهاية : ١/٥٣ .
(٣) سورة البقرة : ١٠٢ .

عزرائيل :

وقد جاء في بعض الآثار تسمية ملك الموت باسم عزرائيل ، ولا وجود لهذا الاسم في القرآن ، ولا في الأحاديث الصحيحة[1] .

رقيب وعتيد :

يذكر بعض العلماء أن من الملائكة من اسمه رقيب وعتيد ، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[2] .

وما ذكروه غير صحيح ، فالرقيب والعتيد هنا وصفان للملكين اللذين يسجلان أعمال العباد ، ومعنى رقيب وعتيد ؛ أي ملكان حاضران شاهدان، لا يغيبان عن العبد ، وليس المراد أنهما اسمان للملكين .

الحادي عشر : موت الملائكة :

الملائكة يموتون كما يموت الإنس والجن ، وقد جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[3] .

فالملائكة تشملهم الآية ؛ لأنهم في السماء ، يقول ابن كثير عند تفسيره هذه الآية : « هذه هي النفخة الثانية ، وهي نفخة الصعق ، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ، كما جاء مصرحاً به مفسراً في حديث الصور المشهور ، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت ، وينفرد الحي القيوم ، الذي كان

---

(١) البداية والنهاية : ١/٥٠ .
(٢) سورة ق : ١٧-١٨ .
(٣) سورة الزمر : ٦٨ .

أولاً ، وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء ، ويقول : لمن الملك اليوم ؟ ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول : ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[1] » .

ومما يدلُّ على أنهم يموتون قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[2] .

وهل يموت أحد منهم قبل نفخة الصور ؟ هذا ما لا نعلمه ، ولا نستطيع الخوض فيه ؛ لعدم وجود النصوص المثبتة له أو النافية .

---

(١) سورة غافر : ١٦ .
(٢) سورة القصص : ٨٨ .

المبحث الثاني
الصفات الخُلقية

الملائكة كرام بررة :

وصف الله الملائكة بأنهم كرام بررة : ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾[1] ؛ أي القرآن بأيدي سفرة : أي الملائكة ؛ لأنهم سفراء الله إلى رسله وأنبيائه، قال البخاري : « سفرة : الملائكة واحدهم سافر ، سفرتُ: أصلحت بينهم، وجعلت الملائكة - إذا نزلت بوحي الله تعالى وتأديته - كالسفير الذي يصلح بين القوم »[2] .

وقد وصف الله تعالى هؤلاء الملائكة بأنهم ﴿ كرام بررة ﴾ ؛ أي خلقهم كريم حسن شريف ، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة ، ومن هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد .

روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : (مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام ، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده ، وهو عليه شديد ، فله أجران)[3] .

استحياء الملائكة :

من أخلاق الملائكة التي أخبرنا الرسول ﷺ بها : الحياء ؛ ففي الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه عن عائشة : أن الرسول ﷺ كان

---

(١) سورة عبس : ١٥-١٦ .
(٢) صحيح البخاري ٨/ ٦٩١ .
(٣) صحيح البخاري : ٨/ ٦٩١ . ورقمه : ٤٩٣٧ . ورواه مسلم : ١/ ٥٤٩ . ورقمه : ٧٩٨. واللفظ للبخاري .

مضطجعاً في بيتها ، كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر ، فأذن له وهو على تلك الحال ، فتحدث ، ثمَّ استأذن عمر ، فأذن له وهو كذلك ، فتحدث ، ثم استأذن عثمان ، فجلس الرسول ﷺ وسوّى ثيابه ، فدخل ، فتحدث ، فلما خرج قالت عائشة : دخل أبو بكر ، فلم تهتش له، ولم تُبَالِه ، ثم دخل عمر ، فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عثمان، فجلست ، وسويت ثيابك ، فقال : (ألا استحيي من رجل تستحيي منه الملائكة)[1] .

وقوله لم تهتش له : الهشاشة والبشاشة : طلاقة الوجه ، وحسن اللقاء . وقوله : لم تباله : لم تحتفل به .

المبحث الثالث
قدراتهم

١ - قدرتهم على التشكل :

أعطى الله الملائكة القدرة على أن يتشكلوا بغير أشكالهم ، فقد أرسل الله جبريل إلى مريم في صورة بشر: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴾[2] .

وإبراهيم - عليه السلام - جاءته الملائكة في صورة بشر ، ولم يعرف أنهم ملائكة حتى كشفوا له عن حقيقة أمرهم ، وقد ذكرنا الآيات التي تتحدث عن ذلك فيما سبق .

---

(١) رواه مسلم : ١٨٦٦/٤ . ورقمه : ٢٤٠١ .
(٢) سورة مريم : ١٦-١٩ .

وجاءوا إلى لوط في صورة شباب حسان الوجوه ، وضاق لوط بهم، وخشي عليهم قومه ، فقد كانوا قوم سوء يفعلون السيئات ، ويأتون الذكران من العالمين: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾[1] .

يقول ابن كثير : « تبدى لهم الملائكة في صورة شباب حسان امتحاناً واختباراً حتى قامت على قوم لوط الحجة ، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر»[2] .

وقد كان جبريل يأتي الرسول ﷺ في صفات متعددة ، فتارة يأتي في صورة دحية بن خليفة الكلبي (صحابي كان جميل الصورة) ، وتارة في صورة أعرابي .

وقد شاهده كثير من الصحابة عندما كان يأتي كذلك .

في الصحيحين عن عمر بن الخطاب قال : « بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ، أخبرني عن الإسلام » . وفي الحديث أنه سأله عن الإيمان والإحسان والساعة وأمارتها[3] .

وقد أخبر الرسول ﷺ فيما بعد أن السائل جبريل ، جاء يعلم الصحابة دينهم .

ورأت عائشة الرسول ﷺ واضعاً يده على معرفة فرس دحية الكلبي

---

(١) سورة هود : ٧٧ .
(٢) البداية والنهاية : ١/٤٣ .
(٣) رواه مسلم : ١/٣٧. ورقمه : ٨ . ورواه البخاري عن أبي هريرة : ١/١١٤ . ورقمه : ٤٩. واللفظ لمسلم .

يكلمه ، فلما سألته عن ذلك ، قال ﷺ : (ذلك جبريل ، وهو يقرئك السلام)[1] .

وقد حدثنا الرسول ﷺ عن الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ، وأنه لما هاجر تائباً جاءه الموت في منتصف الطريق إلى الأرض التي هاجر إليها ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فحكَّموا فيه ملكاً جاءَهم في صورة آدمي ، يقول عليه السلام : (فأتاهم ملك في صورة آدمي ، فجعلوه بينهم ، فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له) ، ولا بدَّ أنهم حكموه بأمر الله ، فأرسل الله لهم هذا الملك في صورة آدمي ، والقصة في صحيح مسلم ، في باب التوبة[2] .

وسيأتي في قصة الثلاثة الذين ابتلاهم الله من بني إسرائيل الأبرص والأقرع والأعمى ، وأن الملك تشكل لهم بصورة بشر .

وقد خاض بعض أهل العلم في كيفية تشكل الملائكة بنظرة عقلية مجردة، فجاؤوا بكلام غث ، وما كان أغناهم عن الخوض في هذا المبحث الغيبي، فالله أعلمنا بتشكلهم ، ولم يعلمنا بكيفية ذلك ، وكان يسع هؤلاء ما وسع رسول الله وأصحابه من بعده ، فيقفوا حيث وقفوا ، وإن شئت أن ترى شيئاً من كلام من تكلم في هذا الموضوع ، فارجع إلى كتاب السيوطي: (الحبائك في أخبار الملائك)[3] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، وابن سعد في الطبقات ، بإسناد حسن .
وحديث إقراء جبريل عائشة السلام من غير رؤيتها له ، رواه البخاري في صحيحه : ٣٠٥/٦.
ورقمه : ٣٢١٧ . ورواه أيضاً : ١٠٦/٧ . ورقمه : ٣٧٦٨ .

(٢) صحيح مسلم : ٢١١٨/٤ . ورقمه : ٢٧٦٦ .

(٣) ص : ٢٦١ .

٢ - عظم سرعتهم :

أعظم سرعة يعرفها البشر هي سرعة الضوء ، فهو ينطلق بسرعة (١٨٦) الف ميل في الثانية الواحدة .

أمّا سرعة الملائكة فهي فوق ذلك ، وهي سرعة لا تقاس بمقاييس البشر، كان السائل يأتي إلى الرسول ﷺ فلا يكاد يفرغ من سؤاله حتى يأتيه جبريل بالجواب من ربِّ العزة سبحانه وتعالى ، واليوم لو وُجدت المراكب التي تسير بسرعة الضوء ، فإنها تحتاج إلى (مليار) سنة ضوئية حتى تبلغ بعض الكواكب الموجودة في آفاق هذا الكون الواسع الشاسع .

٣ - علمهم :

والملائكة عندهم علم وفير علّمهم الله إيّاه ، ولكن ليس عندهم القدرة التي أعطيت للإنسان في التعرف على الأشياء: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] .

فالإنسان يتميز بالقدرة على التعرف على الأشياء ، واكتشاف سنن الكون ، والملائكة يعلمون ذلك بالتلقي المباشر عن الله سبحانه وتعالى .

ولكنّ الذي علمهم الله إياه أكثر مما يعرفه الإنسان ، ومن العلم الذي أعطوه علم الكتابة: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[2] .

وسيأتي إيضاح هذا في مبحث (الملائكة والإنسان) .

---

(١) سورة البقرة : ٣١-٣٢ .
(٢) سورة الانفطار : ١٠-١٢ .

اختصام الملأ الأعلى :

والملائكة تتحاور فيما بينها فيما خفي عليها من وحي ربها ، ففي سنن الترمذي ، ومسند أحمد عن ابن عباس : أن الرسول ﷺ قال : (أتاني الليلة ربي - تبارك وتعالى - في أحسن صورة - قال : أحسبه قال: في المنام - فقال : يا محمد ، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال : قلت: لا . قال : فوضع يده بين كتفيّ ، حتى وجدت بردها بين ثدييّ ، فعلمت ما في السموات ، وما في الأرض .

فقال : يا محمد ! هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم، في الكفارات والدرجات ، والكفارات : المكث في المساجد بعد الصلاة، والمشي على الأقدام إلى الجماعات ، وإسباغ الوضوء في المكاره، والدرجات : إفشاء السلام ، وإطعام الطعام ، والصلاة بالليل والناس نيام.

قال : صدقت ، ومن فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه .

وقال : يا محمد ، إذا صليت فقل : اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات ، وحبّ المساكين ، وأن تغفر لي ، وترحمني ، وتتوب عليّ ، وإذا أردت بعبادك فتنة ، فاقبضني إليك غير مفتون)[1] .

قال ابن كثير في هذا الحديث بعد ذكره له : « هذا حديث المنام المشهور ، ومن جعله يقظة فقد غلط ، وهو في السنن من طرق ، وهذا الحديث رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبدالله اليمامي به .

وقال الحسن : صحيح ، وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور

---

(١) صحيح سنن الترمذي : ٩/٣ . ورقمه : ٢٥٨٠ ، ٢٥٨١ .

في القرآن في قوله : ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[١] .

فإن الاختصام المذكور في الحديث ، قد فسره الرسول ﷺ .

والاختصام المذكور في القرآن فسرته الآيات بعده : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[٢] .

فالاختصام المذكور في القرآن كان في شأن آدم – عليه السلام – وامتناع إبليس من السجود له ، ومحاجته ربّه في تفضيله عليه »[٣] .

٤ – منظمون في كل شؤونهم :

الملائكة منظمون في عبادتهم ، وقد حثنا الرسول ﷺ على الاقتداء بهم في ذلك فقال : (ألا تصفُّون كما تصفُّ الملائكة عند ربها) ؟ قالوا: يا رسول الله ، وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال : (يتمون الصفوف، ويتراصون في الصف)[٤] .

وفي يوم القيامة يأتون صفوفاً منتظمة: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[٥]، ويقفون صفوفاً بين يدي الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾[٦]، والروح: جبريل.

وانظر إلى دقة تنفيذهم للأوامر ، ففي صحيح مسلم ، ومسند أحمد

---

(١) سورة ص : ٦٩-٧٠ .
(٢) سورة ص : ٧١ – ٧٤ .
(٣) راجع تفسير ابن كثير : ٦/٧٣-٧٤ .
(٤) رواه مسلم : ١/٣٢٢ . ورقمه : ٤٣٠ .
(٥) سورة الفجر : ٢٢ .
(٦) سورة النبأ : ٣٨ .

عن أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : (آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول محمد ، فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك)[1] .

ويمكن أن نلاحظ دقة تنفيذهم للأوامر من استعراض حديث الإسراء؛ إذ كان جبريل يستأذن في كل سماء ، ولا يُفتَحُ له إلا بعد الاستفسار .

٥ - عصمة الملائكة :

نقل السيوطي عن القاضي عياض :«أن المسلمين أجمعوا على أن الملائكة مؤمنون فضلاء ، واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه ، وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم .

واختلفوا في غير المرسلين منهم، فذهب طائفة إلى عصمتهم جميعا عن المعاصي، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[2] ، وبقوله: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴾[3] ، وبقوله: ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴾[4] الآية، وقوله: ﴿ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴾[5]، وقوله: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾[6] ، ونحوه من السمعيات.

وذهبت طائفة إلى أن هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين ، واحتجوا بقصة هاروت وماروت وقصة إبليس ، والصواب عصمتهم جميعا

---

(١) صحيح مسلم : ١/١٨٨ . رقمه : ١٩٧ .
(٢) سورة التحريم : ٦ .
(٣) سورة الصافات : ١٦٤ - ١٦٦ .
(٤) سورة الأنبياء : ١٩ .
(٥) سورة عبس : ١٦ .
(٦) سورة الواقعة : ٧٩ .

وتنزيه جنابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبهم وينزلهم عن جليل مقدارهم .

قال : والجواب عن قصة هاروت وماروت أنها لم يرو فيها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ ، وعن قصة إبليس أن الأكثر ينفون أنه من الملائكة ويقولون: إنه أبو الجن ، كما أن آدم أبو البشر، انتهى»[1] .

وتعرض لهذه المسألة الصفوي الأرموي فيما نقله عنه السيوطي فقال : « الملائكة معصومون ، والدليل عليه من وجوه :

أحدهما : قوله تعالى في وصفهم : ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[3] ، وهما يتناولان فعل المأمورات وترك المنهيات؛ لأن النهي أمر بالترك، ولأنه سيق في معرض التمدح، وهو إنما يحصل بمجموعها.

وثانيها: قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[4] ، وهو يفيد المبالغة التامة في الاشتغال بالعبادة، وهو يفيد المطلوب.

وثالثها: الملائكة رسل الله لقوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾[5] والرسل معصومون؛ لأنه قال في تعظيمهم: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[6]، وهو يفيد المبالغة التامة في التعظيم»[7].

---

(١) الحبائك في أخبار الملائك ، للسيوطي : ص٢٥٢ .
(٢) سورة التحريم : ٦ .
(٣) سورة الأنبياء : ٢٧ .
(٤) سورة الأنبياء : ٢٠ .
(٥) سورة فاطر : ١ .
(٦) سورة الأنعام : ١٢٤ .
(٧) الحبائك في أخبار الملائك : ص٢٥٣ .

الفصل الثاني

عبادة الملائكة

نظرة في طبيعة الملائكة

الملائكة مطبوعون على طاعة الله ، ليس لديهم القدرة على العصيان: ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1] .

فتركهم للمعصية ، وفعلهم للطاعة جبلَّة ، لا يكلفهم أدنى مجاهدة ؛ لأنه لا شهوة لهم .

ولعلَّ هذا هو السبب الذي دعا فريقاً من العلماء إلى القول : إن الملائكة ليسوا بمكلفين ، وإنهم ليسوا بداخلين في الوعد والوعيد[2] .

ويمكن أن نقول : إن الملائكة ليسوا بمكلفين بالتكاليف نفسها التي كلف بها أبناء آدم . أما القول بعدم تكليفهم مطلقاً ، فهو قول مردود ، فهم مأمورون بالعبادة والطاعة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾[3] . وفي الآية أنهم يخافون ربهم، والخوف نوع من التكاليف الشرعية بل هو من أعلى أنواع العبودية، كما قال فيهم: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[4] .

---

(١) سورة التحريم : ٦ .
(٢) لوامع الأنوار البهية : ٢/٤٠٩ .
(٣) سورة النحل : ٥٠ .
(٤) سورة الأنبياء : ٢٨ .

مكانة الملائكة

خير ما يوصف به الملائكة أنهم عباد الله، ولكنهم عباد مكرمون ، وقد سبق أن أشرنا إلى أن دعوى المشركين في أنّ الملائكة - بنات الله - دعوى باطلة ، لا نصيب لها من الصحة ، وقد أكذب الله القائلين بهذا القول ، وبين حقيقة الملائكة ومكانتهم في أكثر من موضع ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

الملائكة عباد يتصفون بكل صفات العبودية ، قائمون بالخدمة ، منفذون للتعاليم ، وعلم الله بهم محيط ، لا يستطيعون أن يتجاوزوا الأوامر ، ولا أن يخالفوا التعليمات الملقاة إليهم ، خائفون وجلون . وعلى احتمال أن بعضهم تعدى طوره ، فإن الله يعذبه جزاء تمرده .

ومن تمام عبودية الملائكة أنهم لا يتقدمون بين يدي ربهم مقترحين ، ولا يعترضون على أمر من أوامره ، بل هم عاملون بأمره ، مسارعون مجيبون :﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴾[2] ، وهم لايفعلون إلا ما يؤمرون به ، فالأمر يحركهم ، والأمر يوقفهم ، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس[3] قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل : (ألا تزورنا أكثر مما تزورنا ؟) قال: فنزلت:﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴾[4].

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٦-٢٩ .
(٢) سورة الأنبياء : ٢٧ .
(٣) صحيح البخاري : ٦/٣٠٥ . ورقمه : ٣٢١٨ .
(٤) سورة مريم : ٦٤ .

نماذج من عباداتهم

الملائكة عباد الله ، مكلفون بطاعته ، وهم يقومون بالعبادة والتكاليف بيسر وسهولة . وسنورد - هنا - بعض العبادات التي حدثنا الله ، أو رسوله ﷺ أنهم يقومون بها .

١ - **التسبيح** : الملائكة يذكرون الله تعالى ، وأعظم ذكره التسبيح ، يسبحه تعالى حملة عرشه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ ﴾[1] ، كما يسبحه عموم ملائكته : ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ ﴾[2] .

وتسبيحهم لله دائم لا ينقطع ، لا في الليل ، ولا في النهار : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾[3] .

ولكثرة تسبيحهم فإنهم هم المسبحون في الحقيقة ، وحق لهم أن يفخروا بذلك : ﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴾[4] .

وما كثرة تسبيحهم إلا لأن التسبيح أفضل الذكر ، روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر ، قال : سئل رسول الله ﷺ أي الذكر أفضل ؟ قال: (ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده : سبحان الله وبحمده)[5] .

٢ - **الاصطفاف** : سبق ذكر الحديث الذي يحث الرسول ﷺ فيه أصحابه على الاقتداء بالملائكة في الاصطفاف للصلاة : (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟) . وعندما سئل عن كيفية اصطفافهم قال :

---

(١) سورة غافر : ٧ .
(٢) سورة الشورى : ٥ .
(٣) سورة الأنبياء : ٢٠ .
(٤) سورة الصافات : ١٦٥-١٦٦ .
(٥) صحيح مسلم : ٤/٢٠٩٣ . ورقمه : ٢٧٣١ .

(يتمون الصفوف، ويتراصون في الصف) . رواه مسلم[1] .

وفي القرآن عن الملائكة: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾[2] . وهم يقومون، ويركعون ، ويسجدون ، ففي مشكل الآثار ، للطحاوي ، وفي المعجم الكبير للطبراني عن حكيم بن حزام قال :

« بينما رسول الله ﷺ في أصحابه إذ قال لهم : (أتسمعون ما أسمع؟) . قالوا : ما نسمع من شيء ، قال : (إني لأسمع أطيط السماء ، وما تلام أن تئط ، وما فيها موضع شبر إلا عليه ملك ساجد أو قائم)[3] .

٣ - الحج : للملائكة كعبة في السماء السابعة يحجون إليها ، هذه الكعبة هي التي أسماها الله تعالى : البيت المعمور ، وأقسم به في سورة الطور: ﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴾[4] .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : « ثبت في الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء ، بعد مجاوزته السماء السابعة : (ثمّ رفع بي إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون الفا ، لا يعودون إليه آخر ما عليهم)[5] ؛ يعني يتعبدون فيه ، ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم ، والبيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة، ولهذا وَجَد إبراهيمَ الخليل - عليه الصلاة والسلام - مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ؛ لأنه باني الكعبة الأرضية ، والجزاء من جنس العمل».

وذكر ابن كثير أن البيت المعمور بحيال الكعبة ، أي فوقها ، لو وقع

---

(١) صحيح مسلم : ٣٢٢/١ . ورقمه : ٤٣٠ .

(٢) سورة الصافات : ١٦٥ .

(٣) قال فيه الألباني: (صحيح على شرط مسلم). سلسلة الأحاديث الصحيحة: حديث رقم: ٨٥٢.

(٤) سورة الطور : ٤ .

(٥) صحيح البخاري : ١٠٣/٦ . ورقمه : ٢٢٠٧ . وصحيح مسلم : ١٤٦/١ . ورقمه : ١٦٢. وفي اللفظ بعض الاختلاف عما هو في الصحيحين .

لوقع عليها ، وذكر أن في كل سماء بيتا يتعبد فيه أهلها ، ويصلون إليه ، والذي في السماء الدنيا يقال له : بيت العزة .

وهذا الذي ذكره ابن كثير من أن البيت المعمور بحيال الكعبة مروي عن علي بن أبي طالب ، أخرج ابن جرير من طريق خالد بن عرعرة : أن رجلاً قال لعلي - رضي الله عنه - : ما البيت المعمور ؟ قال : «بيت في السماء بحيال البيت ، حرمة هذا في السماء كحرمة هذا في الأرض ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ولا يعودون إليه »[1] .

قال فيه الشيخ ناصر الدين الألباني[2] : ورجاله ثقاة غير خالد بن عرعرة وهو مستور... ثم ذكر أن له شاهداً مرسلاً صحيحاً من رواية قتادة، قال : ذكر لنا أن النبي ﷺ قال يوماً لأصحابه : (هل تدرون ما البيت المعمور ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه مسجد في السماء، تحته الكعبة ، لو خرَّ لخر عليها...) .

ثم قال المحقق (الألباني) : « وجملة القول أن هذه الزيادة (حيال الكعبة) ثابتة بمجموع طرقها » .

٤ - **خوفهم من الله وخشيتهم له** : ولما كانت معرفة الملائكة بربهم كبيرة ، كان تعظيمهم له،وخشيتهم له ، عظيمة ، قال الله فيهم : ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[3] .

يبين شدة خوفهم من ربهم ما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان) .

---

(١) نقله عن الطبري وإسحق : ابن حجر في فتح الباري : ٣٠٨/٦ ، وأطال في الكلام على إسناده وطرقه .
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٢٣٦/١ .
(٣) سورة الأنبياء : ٢٨ .

قـال علي ، وقال غـيره : « صـفوان ينفـذهم ذلك . فإذا فـزع عن قلوبهم قـالوا : مـاذا قـال ربكم ؟ قـالوا للذي قـال : الحق ، وهو العلي الكبير»[1] .

وفي معـجم الطبراني الأوسط بإسناد حسن عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال : (مررت ليلة أسـري بي بالملأ الأعلى ، وجبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالى)[2] .

« والحلس : كساء يبسط في أرض البيت » .

---

(١) صحيح البخاري : ٣/ ٣٨٠ . ورقمه : ٤٧٠١ .
(٢) صحيح الجامع : ٥/ ٢٠٦ .

الفصل الثالث
الملائكة والإنسان

المبحث الأول
الملائكة وآدم

سؤالهم عن الحكمة من خلق الإنسان :

عندما أراد الله سبحانه أن يخلق آدم أعلم ملائكته بمراده ، فسألوه عن الحكمة من وراء ذلك؛ لأنهم علموا أنه سيقع من بني آدم إفساد ، وسفك دماء ، وعصيان، وكفر ، فأخبرهم سبحانه، أن من وراء خلقه لآدم حِكَما لا يعلمونها : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] .

سجودهم له عند خلقه :

أمر الله ملائكته بالسجود لآدم حين يتمّ خلقه ، وتنفخ فيه الروح : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[2] .

وقد استجابوا لأمر الله إلا إبليس :﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3] .

---

(١) سورة البقرة : ٣٠ .
(٢) سورة ص : ٧١ - ٧٢ .
(٣) سورة ص : ٧٣ - ٧٤ .
هذه الآية ظاهرة الدلالة في أن الملائكة جميعاً سجدوا لآدم ، وفي هذا ردٌّ على الذين قالوا

توجيه الملائكة لآدم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً ، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك ، نفر من الملائكة جلوس ، فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك وتحيَّة ذريتك ، فقال : السلام عليكم . فقالوا : السلام عليك ورحمة الله (فزادوه ورحمة الله)[1] .

غسل الملائكة آدم عند موته :

عندما توفي آدم لم يعرف أولاده كيف يفعلون به ، فأعلمتهم الملائكة، ففي مستدرك الحاكم ، ومعجم الطبراني الأوسط ، بإسناد صحيح، عن أبّي رضي الله عنه عن النبي ﷺ : (لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً، والحدوا له ، وقالوا : هذه سنة آدم في ولده)[2] .

وقد ثبت في صحاح الأحاديث أن الملائكة غسلت شهيداً من هذه الأمَّة هو حنظلة بن أبي عامر ، الذي استشهد في معركة أحد ، فقد قال الرسول ﷺ لأصحابه بعد مقتل حنظلة : (إنَّ صاحبكم تغسله الملائكة ، يعني حنظلة) ، فسأل الصحابة زوجته ، فقالت : إنَّه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب .فقال رسول الله ﷺ : (لذلك غسلته الملائكة) .

رواه الحاكم والبيهقي وإسناده حسن ، وقد ذكر ابن عساكر بإسناد صحيح :أنَّ الأوس افتخروا بأن منهم غسيل الملائكة: حنظلة بن الراهب[3] .

=إن الذين سجدوا هم جزء من الملائكة ، أو أنهم ملائكة الأرض فحسب ، والأثر الوارد في أنهم ملائكة الأرض المنسوب إلى ابن عباس فيه نكارة وانقطاع . ويرى ابن تيمية أن الآية نصٌ لا يحتمل التأويل ، ولا يجوز مخالفتها .

(١) صحيح البخاري : ٣/١١ . ورقمه : ٦٢٢٧ . ورواه مسلم : ٤/ ٢١٨٤.ورقمه : ٢٨٤١ .

(٢) صحيح الجامع : ٤٨/٥ .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة : حديث رقم : ٣٢٦ .

المبحث الثاني
الملائكة وبني آدم

علاقة الملائكة بذرية آدم علاقة وثيقة ، فهم يقومون عليه عند خلقه، ويكلفون بحفظه بعد خروجه إلى الحياة، ويأتونه بالوحي من الله، ويراقبون أعماله وتصرفاته ، وينزعون روحه إذا جاء أجله .

المطلب الأول : دورهم في تكوين الإنسان

روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة ، بعث الله إليها ملكاً ، فصورها ، وخلق سمعها وبصرها ، وجلدها ولحمها وعظامها ، ثمَّ قال: أي ربِّ : أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك)[1].

وعن ابن مسعود،قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال:(إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثمَّ يكون علقة مثل ذلك،ثمَّ يكون مضغة مثل ذلك،ثم يبعث الله إليه ملكا يؤمر بأربع كلمات، ويقال له:اكتب عمله ورزقه ،وشقي أو سعيد،ثم ينفخ فيه الروح)[2].

وفي الصحيحين أيضاً ، عن أنس عن النبي ﷺ قال : (وكّل الله بالرحم ملكاً ، فيقول : أي ربِّ نطفة ، أي ربِّ عَلَقَة ، أي ربِّ مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خَلقَها قال : أي ربِّ ذكر أم أنثى ؟ أشقيٌّ أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه)[3].

---

(١) صحيح مسلم : ٢٠٣٧/٤ . ورقمه : ٢٦٤٥ .
(٢) رواه البخاري : ٣٠٣/٦ . ورقمه : ٣٢٠٨ . ورواه مسلم : ٢٠٣٦/٤ . ورقمه : ٢٦٤٣.
(٣) رواه البخاري : ٤٧٧/١١ . ورقمه : ٦٥٩٥ . ورواه مسلم : ٢٠٣٨/٤ . ورقمه : ٢٦٤٦. واللفظ للبخاري .

المطلب الثاني : حراستهم لابن آدم

قال تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[1] .

وقد بين ترجمان القرآن ابن عباس أن المعقبات من الله هم الملائكة جعلهم الله ليحفظوا الإنسان من أمامه ومن ورائه ، فإذا جاء قدر الله - الذي قدّر أن يصل إليه - خلوا عنه .

وقال مجاهد : « ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوام ، فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك وراءك ، إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه » .

وقال رجل لعلي بن أبي طالب : « إن نفرا من مراد يريدون قتلك، فقال (أي علي) : إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدّر ، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه ، إن الأجل جنّة حصينة »[2] .

والمعقبات المذكورة في آية الرعد هي المرادة بالآية الأخرى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[3] ، فالحفظة الذي يرسلهم الله يحفظون العبد حتى يأتي أجله المقدر له .

---

(١) سورة الرعد : ١٠-١١ .
(٢) راجع البداية والنهاية : ١/٥٤ .
(٣) سورة الأنعام : ٦١ .

المطلب الثالث : سفراء الله إلى رسله وأنبيائه

وقد أعلمنا الله أن جبريل يختص بهذه المهمة : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[1] .

وقال : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾[2] .

وقد يأتي بالوحي غير جبريل - وهذا قليل - كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال : (بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه ، فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم ، لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك ، فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قطٌّ إلا اليوم ، فسلَّم ، وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته)[3] .

وفي التاريخ لابن عساكر عن حذيفة: أن رسول الله ﷺ قال: (أتاني ملك فسلم عليَّ - نزل من السماء، لم ينزل قبلها - فبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنَّة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنَّة)[4] .

وفي مسند أحمد وسنن النسائي عن حذيفة : أن الرسول ﷺ قال: (أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل ؟) قال : قلت : بلى ، قال: (فهو ملك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة ، فاستأذن ربه أن يسلم عليَّ ، ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنَّة ، وأن فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنة)[5] .

---

(١) سورة البقرة : ٩٧ .
(٢) سورة الشعراء : ١٩٣ - ١٩٤ .
(٣) صحيح مسلم : ١/٥٥٤ . ورقمه : ٨٠٦ .
(٤) صحيح الجامع : ١/٨٠ .
(٥) مسند أحمد : ٥/٣٩١ ، واللفظ له . وصحيح سنن النسائي : ٣/٢٢٦ . ورقمه : ٢٩٧٥.

ليس كل من جاءه ملك فهو رسول أو نبي :

ليس كل من جاءه ملك يعدّ رسولاً أو نبياً ، فهذا وَهْم ، فالله قد أرسل جبريل إلى مريم ، كما أرسله إلى أم إسماعيل عندما نفد الماء والطعام منها .

ورأى الصحابة جبريل في صورة أعرابي ، وأرسل الله ملكاً إلى ذلك الرجل الذي زار أخاً له في الله يبشره بأن الله يحبه لحبه لأخيه . . . ، وهذا كثير وإنما المراد التنبيه .

كيف كان يأتي الوحي الرسول ﷺ :

في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها : أن الحارث بن هشام- رضي الله عنه - سأل الرسول ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، كيف يأتيك الوحي ؟

فقال الرسول ﷺ : (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشدُّه عليَّ ، فيُفصَم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً ، فيكلمني ، فاعي ما يقول)[1] .

فجبريل كان يأتي الرسول ﷺ وهو في حالته الملكية ، وهذه شديدة على الرسول ﷺ ، والحالة الثانية كان جبريل ينتقل من حالته الملكية إلى البشرية ، وهذه أخف على الرسول ﷺ .

وقد رأى الرسول ﷺ جبريل على صورته التي خلقه الله عليها مرتين:

الأولى : بعد البعثة بثلاث سنوات ؛ ففي صحيح البخاري عن جابر

---

(١) صحيح البخاري : ١٨/١ . ورقمه : ٢ .

ابن عبدالله : أن الرسول ﷺ قال : (بينما أنا أمشي ، إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت ، فقلت : زملوني)[1].

والثانية : عندما عرج به إلى السماء .

وهاتان المرتان مذكورتان في سورة النجم في قوله تعالى : ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[2].

لا تقتصر مهمة جبريل على تبليغ الوحي :

لم تقتصر مهمة جبريل على تبليغ الوحي من الله تعالى ، فقد كان يأتيه في كل عام في رمضان في كل ليلة من لياليه ، فيدارسه القرآن . والحديث أورده البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة في رمضان ، فيتدارسه القرآن ، فلَرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة »[3] .

إمامته للرسول :

وقد أمَّ جبريلُ الرسول ﷺ ؛ كي يعلمه الصلاة كما يريدها الله تعالى، ففي صحيح البخاري وسنن النسائي عن أبي مسعود : أن الرسول

---

(١) صحيح البخاري : ١/ ٢٧ . ورقمه : ٤ .
(٢) سورة النجم : ٥-١٧ .
(٣) صحيح البخاري : ١/ ٣٠ . ورقمه : ٦ .

ﷺ قال : (نزل جبريل فأمني فصليت معه ، ثم صليت معه ،ثم صليت معه ، ثم صليت معه، ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس مرات)[1] .

وفي السنن عن ابن عباس : أن الرسول ﷺ قال : (أمني جبريل عليه السلام عند البيت مرتين ، فصلى بي الظهر ، حين زالت الشمس ، وكانت قدر الشراك ، وصلى بي العصر حين كان ظلُّ الشيء مثله ، وصلى بي - يعنى المغرب - حين أفطر الصائم ، وصلى بي العشاء حين غاب الشفق ، وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم .

فلما كان الغد ، صلى بي الظهر حين كان ظل الشيء مثله ، وصلى بي العصر حين كان ظل الشيء مثليه ، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم، وصلى بي العشاء إلى ثلث الليل ، وصلى بي الفجر فأسفر . ثم التفت إليَّ فقال : يا محمد ، هذا وقت الأنبياء من قبلك ، والوقت ما بين هذين الوقتين)[2] .

رقية جبريل للرسول ﷺ :

روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد : أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : (يا محمد اشتكيت ؟ قال : نعم ، قال : بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كلّ ذي نفس ، أو عين حاسد ، الله يشفيك، بسم الله أرقيك)[3] .

(١) صحيح البخاري: ٦/٣٠٥. ورقمه : ٣٢٢١. صحيح سنن النسائي: ١/١٠٨. ورقمه : ٤٨٠.
(٢) صحيح سنن أبي داود، واللفظ له : ١/٧٩ . ورقمه: ٣٧٧. وصحيح سنن الترمذي: ١/٥٠. ورقمه : ١٢٧ . وصحيح سنن النسائي عن أبي هريرة : ١/١٠٩ . ورقمه : ٤٨٨ .
(٣) صحيح مسلم : ٤/١٧١٨ . ورقمه : ٢١٨٦ .

أعمال أخرى :

ومن ذلك أنَّه حارب مع الرسول ﷺ في بدر والخندق ، وصحب الرسول ﷺ في الإسراء وغير ذلك .

لماذا لا يرسل الله رسله من الملائكة :

والله لا يرسل رسله من الملائكة ؛ لأن طبيعة الملائكة مخالفة لطبيعة البشر ، فاتصالهم بالملائكة ليس سهلاً ميسوراً ؛ ولذا فإن الرسول ﷺ كان يشق عليه مجيء جبريل إليه بصفته الملائكية كما مضى ، وعندما رأى جبريل على صورته فزع ، وجاء زوجته يقول : دثّروني دثّروني .

فلما كانت الطبائع مختلفة، شاء الله أن يرسل لهم رسولاً من جنسهم، ولو كان سكان الأرض ملائكة، لأنزل إليهم ملكاً رسولاً، قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾[1].

وعلى فرض أن الله اختار رسله إلى عموم البشر من الملائكة ، فإنه لا ينزلهم بصورهم الملائكية ، بل يجعلهم يتمثلون في صفة رجال يلبسون ما يلبس الرجال ، كي يتمكن الناس من الأخذ عنهم : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[2].

وقد أخبر تعالى أن طلب الكفرة رؤية الملائكة ، ومجيء رسول من الملائكة ، إنما هو تعنت ، وليس طلباً للهداية ، وعلى احتمال حدوثه فإنهم لن يؤمنوا : ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة الإسراء : ٩٥ .
(٢) سورة الأنعام : ٨ - ٩ .
(٣) سورة الأنعام : ١١١ .

المطلب الرابع : تحريك بواعث الخير في نفوس العباد

وكّل الله بكل إنسان قريناً من الملائكة ، وقريناً من الجنّ ، ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : (ما منكم من أحد إلا وقد وكّل به قرينه من الجن ، وقرينه من الملائكة) ، قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : (وإياي ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير)[1] .

ولعلّ هذا القرين من الملائكة ، غير الملائكة الذين أمروا بحفظ أعماله، قيضه الله له ليهديه ويرشده .

وقرين الإنسان من الملائكة وقرينه من الجنّ يتعاوران الإنسان ، هذا يأمره بالشر ويرغبه فيه ، وذاك يحثه على الخير ويرغبه فيه ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : (إن للشيطان لمة بابن آدم ، وللملك لمة ، فأمّا لمة الشيطان ، فايعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، وأمّا لمة الملك ، فإيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنّه من الله ، وليحمد الله ، ومن وجد الأخرى ، فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ : ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾[2]) .

قال ابن كثير ، بعد إيراده لهذا الحديث : « هكذا رواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما جميعاً ، عن هناد بن السري . وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، عن أبي يعلى الموصلي ، عن هناد به ، وقال الترمذي : حسن غريب ، وهو حديث أبي الأحوص ، يعني سلام ابن سليم . . . » .

---

(١) صحيح مسلم : ٢١٦٨/٤ . ورقمه : ٢٨١٤ .
(٢) سورة البقرة : ٢٦٨ .

وانظر إلى الحديث التالي كي تعرف كيف يتسابق القرين الجني والقرين الملكي على توجيه الإنسان ، ذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا أوى الإنسان إلى فراشه ، ابتدره ملك وشيطان ، فيقول الملك : اختم بخير ، ويقول الشيطان : اختم بشرّ ، فإذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه - يعني النوم - طرد الملك الشيطان ، وبات يكلؤه .

فإذا استيقظ ، ابتدره ملك وشيطان ، فيقول الملك : افتح بخير ، ويقول الشيطان : افتح بشر ، فإن قال : الحمد لله الذي أحيا نفسي بعدما أماتها ، ولم يمتها في منامها ، الحمد لله الذي يمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، الحمد لله الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، الحمد لله يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه)[1] .

وهذه الأحاديث توجهنا إلى الإكثار من الأعمال الخيرة التي تصلح نفوسنا ، وتقرب الملائكة منّا ، ففي قرب الملائكة منا خير عظيم . وقد سبق ذكر حديث ابن عباس الذي يبين فيه تأثير لقيا الرسول ﷺ وجبريل في شهر رمضان ، لمدارسته القرآن ، وأن الرسول ﷺ يكون حين ذاك أجود بالخير من الريح المرسلة)[2] .

---

(١) قال محقق كتاب الوابل الصيب معلقاً على هذا الحديث : « ورواه بمعناه ابن حبان رقم : (٢٣٦٢) « موارد » . والحاكم : (١/٥٤٨) وصححه ، ووافقه الذهبي ورجاله ثقات ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد : (١٠/١٢٠) وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح ، غير إبراهيم الشامي وهو ثقة . نقول وصوابه : ابراهيم بن الحجاج السامي بالسين المهملة » .

(٢) صحيح البخاري : ١/٣٠ . ورقمه : ٦ .

المطلب الخامس : تسجيل صالح أعمال بني آدم وسيئها

الملائكة موكلون بحفظ أعمال بني آدم من خير وشرّ ، وهؤلاء هم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[1] .

وقد وكل الله بكل إنسان ملكين حاضرين ، لا يفارقانه ، يحصيان عليه أعماله وأقواله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[2] .

ومعنى قعيد : أي مترصد . ورقيب عتيد : أي مراقب معد لذلك لا يترك كلمة تفلت .

والظاهر أن الملائكة الموكلة بالإنسان تكتب كل ما يصدر عن الإنسان من أفعال وأقوال ، لا يتركون شيئاً ؛ لقوله تعالى : ﴿ ما يلفظ من قول ﴾ .

ولذلك فإن الإنسان يجد كتابه قد حوى كلّ شيء صدر منه ، ولذلك فإنّ الكفار ينادون عندما يرون كتاب أعمالهم يوم القيامة قائلين : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[3] .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي

---

(١) سورة الانفطار : ١٠-١٢ .
(٢) سورة ق : ١٦-١٨ .
(٣) سورة الكهف : ٤٩ .

لها بالا يهوي بها في جهنم)[1] .

وذكر ابن كثير في تفسيره عن الحسن البصري أنه تلا هذه الآية : ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[2] ، ثم قال: «يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ، ووكّل بك ملكان كريمان ، أحدهما عن يمينك ، والآخر عن يسارك ، فأمَّا الذي عن يمينك ، فيحفظ الحسنات ، وأما الذي عن يسارك، فيحفظ السيئات، فاعمل ما شئت ، أقلل أو أكثر ، حتى إذا مت طويت صحيفتك ، وجعلت في عنقك معك في قبرك ، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[3] .

ثم يقول الحسن : عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك .

وذكر ابن كثير أيضاً عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[4] قال: «يكتب كلَّ ما تكلم به من خير أو شر، حتى إنَّه ليكتب قوله : أكلت ، شربت ، ذهبت ، جئت ، رأيت . حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله ، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر ، وألقى سائره ؛ وذلك قوله تعالى : ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[5] .

وذكر ابن كثير عن الإمام أحمد أنَّه كان يئنّ في مرضه ، فبلغه عن طاووس أنه قال : « يكتب الملك كل شيء حتى الأنين ، فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله » .

---

(١) صحيح البخاري : ٣٠٨/١١ . ورقمه : ٦٤٧٨ .
(٢) سورة ق : ١٧ .
(٣) سورة الإسراء : ١٣-١٤ .
(٤) سورة ق : ١٨ .
(٥) سورة الرعد : ٣٩ .

صاحب اليمين يكتب الحسنات والآخر السيئات :

في معجم الطبراني الكبير بإسناد حسن عن أبي أمامة : أنَّ رسول الله ﷺ قال : (إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها ، وإلا كتبت واحدة)[١] .

هل تكتب الملائكة أفعال القلوب ؟

استدلَّ شارح الطحاوية[٢] على أنَّ الملائكة تكتب أفعال القلوب بقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[٣]، فالآية شاملة للأفعال الظاهرة والباطنة.

واستدل أيضاً بالحديث الذي يرويه مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (قال الله عزَّ وجلَّ : إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه ، فإن عملها فاكتبوها سيئة ، وإذا همَّ بحسنة فلم يعملها ، فاكتبوها حسنة ، فإن عملها فاكتبوها عشرا)[٤] .

وفي الحديث الآخر المتفق عليه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (قالت الملائكة : ربِّ ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة ، وهو أبصر به ، فقال : ارقبوه ، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها فاكتبوها له حسنة ، إنَّما تركها من جرَّاي)[٥] .

شبهة :

قد يقال : ألا يتناقض علم الملائكة بإرادة الإنسان وقصده مع قوله

---

(١) صحيح الجامع : ٢/٢١٢ .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٤٣٨ .
(٣) سورة الانفطار : ١٢ .
(٤) صحيح مسلم : ١/١١٧ . ورقمه : ١٢٨ .
(٥) صحيح مسلم : ١/١١٧ . ورقمه : ١٢٩ ، واللفظ له ، ورواه البخاري : ١٣/٤٦٥ . ورقمه : ٧٥٠١ .

تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[1] .

فالجواب : أن هذا ليس من خصائص علم الله تعالى ، فهو وإن خفي عن البشر ، فلا يعلم واحدهم ما في ضمير أخيه ، فلا يلزم أن يخفى عن الملائكة .

وقد يقال : إن الملائكة تعلم بعض ما في الصدور ، وهو الإرادة والقصد ، أمّا بقية الأمور كالاعتقادات ، فلا دليل على كونها تعلمها .

دعوة العباد إلى فعل الخير :

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهمَّ أعط ممسكاً تلفاً)[2] .

---

(1) سورة غافر : ١٩ .
(2) صحيح البخاري : ٣/٣٠٤ . ورقمه : ١٤٤٢. ورواه مسلم : ٢/٧٠٠ . ورقمه : ١٠١٠.

المطلب السادس : ابتلاء بني آدم

وقد يرسل الله بعض ملائكته لابتلاء بني آدم واختبارهم ، ففي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنه سمع النبي ﷺ يقول: (إن ثلاثة في بني إسرائيل : أبرص ، وأقرع ، وأعمى ، فأراد الله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكاً .

فأتى الأبرص ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ فقال : لون حسن، وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قذرني الناس ، قال : فمسحه ، فذهب عنه قذره ، وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً . قال : فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال : الإبل ، (أو قال : البقر ، شكّ إسحق ، إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما : الإبل وقال الآخر : البقر) ، فأعطي ناقة عشراء . فقال : بارك الله لك فيها .

قال : فأتى الأقرع ، فقال : أيُّ شيء أحبُّ إليك ؟ قال : شعر حسن ، ويذهب عني الذي قذرني الناس . قال : فمسحه ، فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً . قال : فأيُّ المال أحبُّ إليك ؟ قال : البقر ، فأعطي بقرة حاملاً ، وقال : بارك الله لك فيها .

قال: فأتى الأعمى فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك ؟ قال أن يرد الله إليَّ بصري، فأبصر به الناس، قال: فمسحه، فردَّ الله بصره . قال : فأيُّ المال أحبُّ إليك ؟ قال: الغنم . فأعطي شاة والداً ، فأنتج هذا ، وولد هذا .

قال : فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم .

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ، ثم بك ،

أسألك - بالذي أعطاك اللون الحسن،والجلد الحسن ، والمال - بعيراً أتبلغ به في سفري ، فقال : الحقوق كثيرة ، فقال له : كأني أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً فأعطاك الله ؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر . فقال : إن كنت كاذباً ، فصيرك الله إلى ما كنت .

قال: وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما ردَّ هذا ، فقال: إن كنت كاذباً ، فصيرك الله إلى ما كنت .

قال : وأتى الأعمى في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين وابن سبيل . انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ، ثم بك ، أسألك - بالذي ردَّ عليك بصرك - شاة أتبلغ بها في سفري ، فقال: قد كنت أعمى فردَّ الله إلي بصري ، فخذ ما شئت ، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله ، فقال : أمسك مالك ، فإنَّما ابتليتم، فقد رضي الله عنك ، وسخط على صاحبيك)[1] .

(١) رواه البخاري:٦/ ٥٠٠.ورقمه:٣٤٦٤. ورواه مسلم:٤/ ٢٢٧٥. ورقمه: ٢٩٦٤ .واللفظ لمسلم.

المطلب السابع : نزع أرواح العباد عندما تنتهي آجالهم

اختص الله بعض ملائكته بنزع أرواح العباد عندما تنتهي آجالهم التي قدرها الله لهم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[1] .

والذين يقبضون الأرواح أكثر من ملك :﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾[2] .

وتنزع الملائكة أرواح الكفرة والمجرمين نزعاً شديداً عنيفاً بلا رفق ولا هوادة : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾[3] .

وقال﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾[4] .

وقال : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾[5] .

أما المؤمنون فإن الملائكة تنزع أرواحهم نزعاً رفيقاً .

تبشيرهم المؤمنين عند النزع :

وإذا جاء الموت ، ونزل بالعبد المؤمن ، فإن الملائكة تتنزل عليه ، تبشره وتثبته :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

---

(١) سورة السجدة : ١١ .
(٢) سورة : الأنعام : ٦١ - ٦٢ .
(٣) سورة الأنعام : ٩٣ .
(٤) سورة الأنفال : ٥٠ .
(٥) سورة محمد : ٢٧ .

الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون﴾[1] .

وهي تبشر الكفرة بالنار وغضب الجبار وتقول لهم : ﴿أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون﴾[2]

موسى يفقأ عين ملك الموت :

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فقال له : أجب ربك) ، قال : (فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها) . قال : (فرجع الملك إلى الله تعالى ، فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت ، وقد فقأ عيني) . قال : (فردَّ الله إليه عينه ، وقال : ارجع إلى عبدي فقل : الحياةَ تريد ؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور ، فما توارت يدك من شَعرة ، فإنك تعيش بها سنة ، قال : ثمَّ مه ؟ قال : ثمَّ تموت . قال : فالآن من قريب)[3] . « وملك الموت كان يأتي الناس عيانا ، فأتى موسى فلطمه وفقأ عينه»[4] .

وذكر ابن حجر العسقلاني أن بعض المبتدعة أنكر هذا الحديث . وذكر في الرد عليهم : « أن موسى لطم ملك الموت ، لأنه رأى آدميا دخل داره بغير إذنه ، ولم يعلم أنه ملك الموت ، وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن ، وقد جاءَت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفهم ابتداءً ، ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكولات ، ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه »[5] .

---

(١) سورة فصلت : ٣٠-٣١ .
(٢) سورة الأنعام : ٩٣ .
(٣) رواه البخاري:٣/٢٠٦. ورقمه:١٣٣٩.ورواه مسلم:٤/١٨٤٣. ورقمه: ٢٣٧٣. واللفظ لمسلم.
(٤) هذه الرواية رواها أحمد في مسنده ، والطبري . انظر : فتح الباري : ٦/٤٤٢ .
(٥) فتح الباري : ٦/٤٤٢ .

والتكذيب بالأحاديث الصحيحة التي تخبر عن الغيوب بنظر عقلي مجرد ينافي الإيمان ، فأول صفات المتقين أنهم يؤمنون بالغيب ، كما ذكر الله ذلك في مطلع سورة البقرة ، فإذا صحّ الخبر عن الله أو عن رسوله فليس هناك إلا التصديق : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ .

المطلب الثامن : علاقة الملائكة بالعبد في قبره ومحشره والدار الآخرة

سيأتي في مبحث الإيمان باليوم الآخر إن شاء الله تعالى ما يكون من الملائكة نحو العباد بعد الموت من سؤال الملكين للعبد في قبره ، وهذان هما منكر ونكير ، وأن منهم ملائكة ينعّمون العباد في قبورهم ، وآخرون يعذبون الكفرة والمجرمين ، واستقبالهم للمؤمن في يوم القيامة ، ونفخ إسرافيل في الصور ، وحشرهم الناس للحساب ، وسوقهم الكفرة إلى جهنم ، والمؤمنين إلى الجنة ، وقيامهم على تعذيب الكفار في النار ، وسلامهم على المؤمنين في الجنة .

(١) سورة آل عمران : ٧ .

المبحث الثالث
الملائكة والمؤمنون

تحدثنا في المبحث السابق عن الدور الذي كلف الله الملائكة القيام به تجاه بني آدم كلهم ؛ مؤمنهم وكافرهم ، فما ذكرناه من تشكيلهم للنطفة ، وحراستهم للعباد ، وتبليغ للوحي ، ومراقبتهم للعباد ، وكتابة الأعمال ، ونزع الأرواح ، لا تختص بقسم من بني آدم دون قسم ، ولا بمؤمن دون كافر .

وللملائكة بعد ذلك دور مختلف مع المؤمنين والكفار ، وسنتناول دورهم وموقفهم من كلا الفريقين بالبيان والتوضيح .

المطلب الأول : دور الملائكة تجاه المؤمنين

١ - محبتهم للمؤمنين :

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال : (إذا أحب الله عبداً نادى جبريل : إن الله يحب فلاناً فأحببه ، فيحبه جبريل . فينادي جبريل في أهل السماء : إن الله يحبُّ فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثمّ يوضع له القبول في الأرض)[1] .

٢ - تسديد المؤمن :

روى البخاري في صحيحه عن حسّان بن ثابت: أن رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح البخاري: ٣٠٣/٦ . ورقمه: ٣٢٠٩ . ورواه مسلم : ٢٠٣٠/٤ . ورقمه : ٢٦٣٧.

دعا له ، فقال : (اللهمَّ أيده بروح القدس)[1] .

وفي الصحيح أيضاً عن أبي هريرة قال:(قال سليمان عليه السلام : لأطوفنَّ الليلة بمائة امرأة ، تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله .

فقال له الملك : قل : إن شاء الله ، فلم يقل ، ونسي ، فأطاف بهنَّ ، ولم تلد إلا امرأة منهنَّ نصف إنسان) .

قال النبي ﷺ : (لو قال : إن شاء الله لم يحنث ، وكان أرجى لحاجته)[2] .

فالملك سدد نبي الله سليمان وأرشده إلى الأصوب والأكمل .

٣ - صلاتهم على المؤمنين :

أخبرنا الله أن الملائكة تصلي على الرسول ﷺ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾[3] . وهم يصلون على المؤمنين أيضاً: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[4].

والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند ملائكته ، حكاه البخاري عن أبي العالية ، وقال غيره : الصلاة من الله - عز وجل - الرحمة ، وقد يقال : لا منافاة بين القولين .

وأمّا الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس ، والاستغفار لهم ، وهذا ما سنوضحه فيما يأتي .

---

(١) صحيح البخاري : ٦/٣٠٤ .

(٢) رواه البخاري: ٩/٣٣٩.ورقمه: ٥٢٤٢. قال ابن حجر (فتح الباري : ٦/٤٦٠) ما ملخصه: « في رواية المغيرة (سبعين) امرأة ، وفي رواية شعيب في الأيمان والنذور : (تسعين) ، ورجحها المؤلف هناك » . ورواه مسلم في صحيحه : ١٢٧٦/٣ . ورقمه : ١٦٥٤ ، وفي إحدى رواياته : ستون ، وفي الأخرى : سبعون ، وفي ثالثة : تسعون .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦ .

(٤) سورة الأحزاب : ٤٣ .

نماذج من الأعمال التي تصلي الملائكة على صاحبها

أ - معلّم الناس الخير :

روى الترمذي في سننه عن أبي أمامة أن الرسول ﷺ قال : (إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير)(1) .

ب - الذين ينتظرون صلاة الجماعة :

في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مجلسه ، تقول : اللهمَّ اغفر له ، اللهم ارحمه . مالم يحدث)(2) .

ج - الذين يصلون في الصف الأول :

في سنن أبي داود عن البراء بن عازب رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله وملائكته يصلون على الصفوف الأول)(3) .

وفي سنن النسائي : (على الصفوف المتقدمة)(4) .

وفي سنن ابن ماجة من حديث البراء ، وحديث عبدالرحمن بن عوف: (إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول)(5) .

د - الذين يسدُّون الفرج بين الصفوف :

في سنن ابن ماجة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : (إن

---

(1) صحيح سنن الترمذي : ٢/٣٤٣ . ورقمه : ٢١٦١ .
(2) رواه البخاري : ٢/١٣١ . ورقمه : ٦٤٧ ، ورواه مسلم : ١/٤٥٩ . ورقمه : ٦٤٩ ، واللفظ لمسلم .
(3) صحيح سنن أبي داود : ١/١٣٠ . ورقمه : ٦١٨ .
(4) صحيح سنن النسائي : ١/١٧٥ . ورقمه : ٧٨١ .
(5) صحيح سنن ابن ماجة : ١/١٦٤ . ورقمه : ٨١٦ .

الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف ، ومن سدّ فرجة رفعه الله بها درجة)[1] .

هـ - الذين يتسحرون :

في صحيح ابن حبان ومعجم الطبراني الأوسط بإسناد حسن ، عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله تعالى وملائكته يصلون على المتسحرين)[2] .

و - الذين يصلون على النبي ﷺ :

روى أحمد في مسنده ، والضياء في المختارة عن عامر بن ربيعة بإسناد حسن: أن رسول الله ﷺ قال: (ما من عبد يصلي عليّ إلا صلتْ عليه الملائكة ، ما دام يصلي عليّ ، فليقلّ العبد من ذلك أو ليكثر)[3] .

ز - الذين يعودون المرضى :

روى أبو داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال : (ما من رجل يعود مريضاً ممسياً ، إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنَّة ، ومن أتاه مصبحاً خرج معه سبعون ألف ملك ، يستغفرون له حتى يمسي ، وكان له خريف في الجنة)[4] .

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة : ١/ ١٦٤ . ورقمه : ٨١٤ .
(٢) صحيح الجامع : ٢/ ١٣٥ .
(٣) صحيح الجامع : ٥/ ١٧٤ .
(٤) صحيح سنن أبي داود : ٢/ ٥٩٨ . ورقمه : ٢٦٥٥ ، وصرّح أبو داود بتصحيحه مرفوعاً ، وأورد رواية صحيحة عن علي موقوفاً عليه .

هل لصلاة الملائكة علينا أثر :

يقول تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[1] .

تفيد الآية أن ذكر الله لنا في الملأ الأعلى ، ودعاء الملائكة للمؤمنين واستغفارهم لهم ، له تأثير في هدايتنا وتخليصنا من ظلمات الكفر والشرك والذنوب والمعاصي ، إلى النور الذي يعني وضوح المنهج والسبيل ، بالتعرف على طريق الحق الذي هو الإسلام ، وتعريفنا بمراد الله منا ، وإعطائنا النور الذي يدلنا على الحق : في الأفعال والأقوال والأشخاص .

٤ - التأمين على دعاء المؤمنين :

الملائكة يؤمنون على دعاء المؤمن ، وبذلك يكون الدعاء أقرب إلى الإجابة ، ففي صحيح مسلم وسنن ابن ماجة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : (دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك ، كلما دعا له بخير قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل)[2] .

ولما كان الدعاء المؤمَّن عليه حريّاً بالإجابة ، فإنه لا ينبغي للمؤمن أن يدعو على نفسه بشر ، ففي صحيح مسلم عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : (لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون)[3] .

---

(١) سورة الأحزاب : ٤٣ .
(٢) صحيح مسلم : ٤/ ٢٠٩٤ . ورقمه : ٢٧٣٣ . وصحيح سنن ابن ماجة : ٢/ ١٤٩ . ورقمه: ٢٣٤٠ ، واللفظ لمسلم .
(٣) صحيح مسلم : ٢/ ٦٣٤ . ورقمه : ٩٢٠ .

٥ - استغفارهم للمؤمنين :

أخبرنا الله أن الملائكة يستغفرون لمن في الأرض : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1] .

وأخبر في آية سورة غافر أن حملة العرش والملائكة الذين حول العرش ينزهون ربهم ، ويخضعون له ، ويخصون المؤمنين التائبين بالاستغفار، ويدعونه بأن ينجيهم من النار ، ويدخلهم الجنة ، ويحفظهم من فعل الذنوب والمعاصي : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2] .

٦ - شهودهم مجالس العلم وحلق الذكر وحفهم أهلها بأجنحتهم :

في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ : (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا : هلموا إلى حاجتكم) . قال: (فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا)[3] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال

---

(١) سورة الشورى : ٥ .
(٢) سورة غافر : ٧-٩ .
(٣) رواه البخاري : ٢٠٨/١١ . ورقمه : ٦٤٠٨ . ورواه مسلم : ٢٠٦٩/٤ . ورقمه : ٢٦٨٩. واللفظ للبخاري .

رسول الله ﷺ : (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده)[1] .

وفي سنن الترمذي عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع)[2] ؛ أي تتواضع له .

فالأعمال الصالحة - كما ترى - تقرب الملائكة منا ، وتقربنا منهم ، ولو استمر العباد في حالة عالية من السمو الروحي ، لوصلوا إلى درجة مشاهدة الملائكة ومصافحتهم كما في الحديث الذي يرويه مسلم ، عن حنظلة الأسيدي ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : (والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم)[3] .

وفي رواية الترمذي عن حنظلة قال : قال رسول الله ﷺ : (لو أنكم تكونون كما تكونون عندي لأظلتكم الملائكة بأجنحتها)[4] .

٧ - تسجيل الملائكة الذين يحضرون الجمعة :

وهؤلاء الملائكة يسجلون بعض أعمال العباد ، فيسجلون الذين يؤمون الجُمَع الأول فالأول . فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول ، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ، وجلسوا يستمعون الذكر).متفق عليه[5] .

---

(١) صحيح مسلم : ٢٠٧٤/٤ . ورقمه : ٢٦٩٩ .
(٢) صحيح سنن الترمذي : ٣٤٢/٢ . ورقمه : ٢١٥٩ .
(٣) صحيح مسلم : ٢١٠٦/٤ . ورقمه : ٢٧٥٠ .
(٤) صحيح سنن الترمذي : ٢٩٨/٢ . ورقمه : ١٩٩٤ .
(٥) مشكاة المصابيح : ٤٣٦/١ . ورقمه : ١٣٨٤ .

ويسجلون ما يصدر عن العباد من أقوال طيبة ، ففي صحيح البخاري وغيره عن رفاعة بن رافع الزرقي قال : « كنا يوماً نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة ، قال : (سمع الله لمن حمده) قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه . فلما انصرف ، قال: (من المتكلم ؟) قال : أنا . قال : (لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول)[1] . فهؤلاء الكتبة من الملائكة غير الملكين اللذين يسجلان صالح أعماله وطالحها بالتأكيد ؛ لكونهم بضعة وثلاثين ملكاً.

٨ - تعاقب الملائكة فينا :

وهؤلاء الملائكة الذين يطوفون في الطرق يلتمسون الذكر ، ويشهدون الجمع والجماعات يتعاقبون فينا ، فطائفة تأتي ، وطائفة تذهب ، وهم يجتمعون في صلاة الصبح ، وصلاة العصر ، ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : (إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم ، وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون)[2] .

ولعل هؤلاء هم الذين يرفعون أعمال العباد إلى ربهم ، ففي صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه ، قال : « قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات ، فقال : (إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ،

---

(١) رواه البخاري : ٢/٢٨٤ . ورقمه : ٧٩٩ .
(٢) رواه البخاري : ٦/٣٠٦ . ورقمه : ٣٢٢٣ . ورواه مسلم : ١/٤٣٩ . ورقمه : ٦٣٢ .

وعمل النهار قبل الليل . . .)[1] الحديث .

وقد عظم الله شأن صلاة الفجر ؛ لأن الملائكة تشهدها ، قال : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[2] .

٩ - تنزّلهم عندما يقرأ المؤمن القرآن :

ومنهم من يتنزّل من السماء حين يقرأ القرآن؛ ففي صحيح مسلم عن البراء بن عازب قال: «قرأ رجل سورة الكهف،وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته ، قال فذكر ذلك للنبي ﷺ. فقال: (اقرأ فلان ، فانها السكينة تنزلت عند القرآن ، أو تنزلت للقرآن)[3].

وعن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه : أن أسيد بن حضير بينما هو في ليلة يقرأ في مربده[4] ، إذ جالت[5] فرسه ، فقرأ ، ثم جالت أخرى ، فقرأ ، ثم جالت أيضاً . قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى ، فقمت إليها ، فإذا مثل الظلة فوق رأسي ، فيها أمثال السرج ، عرجت في الجوّ حتى ما أراها .

فقال : غدوت على رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي ، إذ جالت فرسي ، فقال رسول الله ﷺ : (اقرأ ابن حضير) قال : فقرأت ، ثمّ جالت أيضاً ، فقال رسول الله ﷺ : (اقرأ ابن حضير) : قال : فقرأت ، ثم جالت أيضاً ، فقال رسول الله ﷺ : (اقرأ ابن حضير) . قال : فانصرفت ، وكان يحيي قريباً منها ، خشيت أن تطأه ، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال

---

(١) صحيح مسلم : ١٦٢/١ . ورقمه : ١٧٩ . وفي رواية لمسلم : (بأربع كلمات) .
(٢) سورة الإسراء : ٧٨ .
(٣) صحيح مسلم : ٥٤٨/١ . ورقمه : ٧٩٦ .
(٤) المربد : الموضع الذي ييبس فيه التمر ، كالبيدر .
(٥) جالت : وثبت .

السرج ، عرجت في الجوّ حتى ما أراها .

فقال رسول الله ﷺ : (تلك الملائكة كانت تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم)[1] .

١٠ - يبلّغون الرسول ﷺ عن أمته السلام :

روى النسائي والدارمي عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : (إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام)[2].

١١ - تبشيرهم المؤمنين :

فقد حملوا البشرى إلى إبراهيم بأنه سيرزق بذرية صالحة : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴾[3] .

وبشرت زكريا بيحيى ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾[4] .

وليس هذا مقصوراً على الأنبياء والمرسلين ، بل قد تبشر المؤمنين ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (إنّ رجلاً زار رجلاً أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله[5] له على مدرجته (طريقه) ملكاً ، فلما أتى عليه ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربُّها ؟ قال : لا ، غير أني

---

(١) رواه البخاري : ٩/٦٣ . ورقمه : ٥٠١٨ . من رواية محمد بن إبراهيم عن أسيد بن حضير. ورواه مسلم : ١/٥٤٨ . ورقمه : ٧٩٦ . واللفظ لمسلم .
(٢) مشكاة المصابيح : ١/٢٩١ . ورقمه : ٩٢٤ . وقال محقق المشكاة ، الشيخ ناصر الدين الألباني : إسناده صحيح ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .
(٣) سورة الذاريات : ٢٤-٢٨ .
(٤) سورة آل عمران : ٣٩ .
(٥) أرصد على مدرجته : أقعد على طريقه .

أحببته في الله عزّ وجلّ ، قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)[1] .

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: (أتاني جبريل، فقال: يارسول الله! هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي قد أتتك ، فاقرأ عليها السلام، من ربّها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب)[2].

١٢ - الملائكة والرؤيا في المنام :

روى البخاري في صحيحه في باب التهجد ، عن عبدالله بن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : « كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصّها على رسول الله ﷺ ، فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله ﷺ ، وكنت غلاماً شابا ، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار ، فإذا هي مطوية كطيّ البئر ، وإذا لها قرنان كقرني البئر ، وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار ، قال : فلقيهما ملك آخر ، فقال لي: لم ترع)[3] ؛ أي لا تخف .

وفي صحيح البخاري عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : قال لي رسول الله ﷺ : (أريتك في المنام يجيء بك الملك في سَرَقَةٍ من حرير، فقال لي : هذه امرأتك ، فكشفتُ عن وجهك الثوب ، فإذا أنت هي ، فقلت : إن يك هذا من الله يمضه)[4] .

---

(١) صحيح مسلم : ٤/١٩٨٨ . ورقمه : ٢٥٦٧ .
(٢) رواه البخاري : ٧/١٣٣ . ورقمه : ٣٨٢٠ . ورواه مسلم : ٤/١٨٨٧ . ورقمه : ٢٤٣٢ - واللفظ لمسلم .
(٣) رواه البخاري : ٣/٦ . ورقمه : ١١٢١ . ورواه مسلم : ٤/١٩٢٧ . ورقمه : ٢٤٧٩ .
(٤) رواه البخاري بهذا اللفظ في كتاب النكاح : ٩/١٨٠ . ورقمه : ٥١٢٥ . ورواه في مناقب الأنصار : ٧/٢٢٣ . ورقمه : ٣٨٩٥ . وفي التعبير : ١٢/٣٩٩ . ورقمه : ٧٠١١ ،

١٣ - يقاتلون مع المؤمنين ويثبتونهم في حروبهم :

وقد أمد الله المؤمنين بأعداد كثيرة من الملائكة في معركة بدر: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[1] ، ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[2] .

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس : أن الرسول ﷺ قال في يوم بدر : (هذا جبريل آخذ برأس فرسه ، عليه أداة حرب)[3] .

وقد بين الله الحكمة والغاية من هذا الإمداد ، وهو تثبيت المؤمنين ، والمحاربة معهم ، وقتال أعداء الله ، وقتلهم بضرب أعناقهم وأيديهم : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[4] ، ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[5] .

وقال في سورة آل عمران : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾[6] .

وقد سمع أحد المقاتلين من المسلمين صوت ضربة ملك ، ضرب بها أحد الكفار ، وصوته وهو يزجر فرسه ، ففي صحيح مسلم عن ابن

٧٠١٢، ورواه مسلم : ١٨٨٩/٤ . ورقمه : ٢٤٣٨ .

(١) سورة الأنفال : ٩ .

(٢) سورة آل عمران : ١٢٣ - ١٢٥ .

(٣) صحيح البخاري : ٣١٢/٧ . ورقمه : ٣٩٩٥ .

(٤) سورة الأنفال : ١٠ .

(٥) سورة الأنفال : ١٢ .

(٦) سورة آل عمران : ١٢٦ - ١٢٧ .

عباس قال: (بينما رجل من المسلمين يومئذٍ يشتدُّ في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه ، فخرَّ مستلقياً ، فنظر إليه ، فإذا هو قد خُطم أنفه ، وشقَّ وجهه ، كضربة السوط ، فاخضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري ، فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : (صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة)[1] .

وقد حاربت الملائكة في مواقع أخر ؛ ففي غزوة الخندق أرسل الله ملائكته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[2] ، والمراد بالجنود التي لم يروها الملائكة، كما ثبت في الصحاح وفي غيرها : أن جبريل جاء الرسول ﷺ بعد رجوعه ﷺ من الخندق وقد وضع سلاحه واغتسل ، فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار ، فقال للرسول ﷺ : وضعت السلاح ؟ والله ما وضعناه، أخرج إليهم . فقال رسول الله ﷺ : (فأين ؟ فأشار إلى بني قريظة)[3] .

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : « كأني أنظر إلى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم ، موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة »[4] .

---

(١) صحيح مسلم : ٣/ ١٣٨٤ . ورقمه : ١٧٦٣ .
(٢) سورة الأحزاب : ٩ .
(٣) رواه البخاري : ٤٠٧/٧ . ورقمه : ٤١١٧ . ورواه مسلم في صحيحه : ١٣٨٩/٣ . ورقمه: ١٧٦٩ .
(٤) رواه البخاري : ٤٠٧/٧ . ورقمه : ٤١١٨ .

١٤ - حمايتهم للرسول ﷺ :

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قال : فقيل : نعم، فقال : واللات والعزى ، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ على رقبته ، أو لأعفرنّ وجهه في التراب .

قال : فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى ، زعم ليطأ على رقبته . قال : فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبه ، ويتقي بيديه ، قال : فقيل له: ما لك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخندقاً من نار ، وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ : (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً)[١].

ورواه البخاري بأخصر من رواية مسلم هذه ، في كتاب التفسير[٢] .

١٥ - حمايتهم ونصرتهم لصالحي العباد وتفريج كربهم :

وقد يرسلهم الله لحماية بعض عباده الصالحين من غير الأنبياء والمرسلين، وقد يكون من هذا ما حصل لرجل ذكر ابن كثير خبره . ففي تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [٣] قال :

ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي الصوفي ، قال هذا الرجل : « كنت أكاري على بغل لي من دمشق إلى بلد الزبداني ، فركب معي ذات مرة رجل ، فمررنا على بعض الطريق على طريق غير مسلوكة ، فقال لي: خذ في هذه فإنها أقرب، فقلت: لا خيرة لي فيها ، فقال: بل هي أقرب، فسلكناها .

فانتهينا إلى مكان وعر ، وواد عميق ، وفيه قتلى كثيرة ، فقال لي:

---

(١) صحيح مسلم : ٤/٢١٥٤ . ورقمه : ٢٧٩٧ .
(٢) صحيح البخاري : ٨/٧٢٤ . ورقمه : ٤٩٥٨ .
(٣) سورة النمل : ٦٢ .

أمسك رأس البغل ، حتى أنزل ، فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه ، وسلّ سكيناً معه وقصدني ، ففررت من بين يديه وتبعني ، فناشدته الله ، وقلت: خذ البغل بما عليه ، فقال : هو لي ؛ وإنما أريد قتلك ، فخوفته الله والعقوبة ، فلم يقبل .

فاستسلمت بين يديه ، وقلت : إني أريد أن تتركني حتى أصلي ركعتين ، فقال : عجّل ، فقمت أصلي ، فارتجّ عليّ القرآن ، فلم يحضرني منه حرف واحد ، فبقيت واقفاً متحيراً ، وهو يقول : هيه ، افرغ ، فأجرى الله على لساني قوله :﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[1] ،فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي وبيده حربة، فرمى بها الرجل، فما أخطأت فؤاده ، فخرّ صريعاً ، فتعلقت بالفارس ، وقلت : بالله من أنت ؟ فقال : أنا رسول الذي يجيب المضطر ، إذا دعاه، ويكشف السوء. قال : فأخذت البغل والحمل ، ورجعت سالماً » .

ومن ذلك إرسال الله جبريل لإغاثة أم اسماعيل في مكة ، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قصة مهاجرة إبراهيم بابنه إسماعيل وأمّه هاجر إلى أرض مكة – وهي قصة طويلة – أن أمّ اسماعيل سعت سعي الإنسان المجهود بين الصفا والمروة سبع مرات تبحث عن الماء ، (فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً ، فقالت : صه تريد نفسها ، ثمّ تسمعت أيضاً ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، أو قال : بجناحه ، حتى ظهر الماء... فقال لها الملك : لا تخافوا الضّيعة فإن ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله)[2] .

---

(١) سورة النمل : ٦٢ .

(٢) صحيح البخاري : ٣٩٧/٦ . ورقمه : ٣٣٦٤ .

وهذا الملك الذي جاءها هو جبريل ، ففي المسند عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب قال : « إن جبريل لما ركض زمزم بعقبه ، جعلت أم اسماعيل تجمع البطحاء ، فقال النبي ﷺ : (رحم الله هاجر أم إسماعيل، لو تركتها لكانت عينا معينا)[1] .

١٦ - شهود الملائكة لجنازة الصالحين :

قال الرسول ﷺ في سعد بن معاذ : (هذا الذي تحرّك له العرش، وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة ، لقد ضُمَّ ضمة، ثمَّ فرّج عنه) . رواه النسائي عن ابن عمر[2] :

١٧ - إظلالها للشهيد بأجنحتها :

في البخاري عن جابر ، قال: « جيء بأبي إلى النبي ﷺ وقد مثل به ، ووضع بين يديه ، فذهبت أكشف عن وجهه ، فنهاني قومي ، فسمع صوت نائحة ، فقيل : ابنة عمرو - أو أخت عمرو - . فقال النبي ﷺ: (لمَ تبكين ، أو لا تبكين ، مازالت الملائكة تظله بأجنحتها) .

وقد عنون له البخاري بقوله : (باب ظل الملائكة على الشهيد)[3].

١٨ - الملائكة الذين جاءوا بالتابوت :

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[4].

---

(١) مسند أحمد : ٥/ ١٢١ .

(٢) حديث اهتزاز العرش لموت سعد . رواه البخاري : ٧/ ١٢٢ . ورقمه : ٣٨٠٢ . ورواه مسلم عن جابر : ٤/ ١٩١٥ . ورقمه : ٢٤٦٦ . أما شهود الملائكة لجنازته ففي سنن النسائي. انظر صحيح سنن النسائي : ٢/ ٤٤١ . ورقمه : ١٩٤٢ .

(٣) صحيح البخاري : ٦/ ٣٢ . ورقمه : ٢٨١٦ .

(٤) سورة البقرة : ٢٤٨ .

والذي يعنينا من هذه الآية ما أخبرنا الله به ، أن الملائكة جاءت بني إسرائيل ، في تلك الفترة ، بتابوت ، تطميناً لهم وتثبيتاً ؛ كي يعلموا أن طالوت مختار من الله تعالى ، فيتابعوهُ ويطيعوهُ .

١٩ - حمايتهم للمدينة ومكة من الدجال :

يدخل الدجال عندما يخرج كل بلد إلا مكة والمدينة ؛ لحماية الملائكة لهما ، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث فاطمة بنت قيس من قصة تميم الداري : أن الدجال قال : « إني أنا المسيح الدجال ، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج ، فأخرج فأسير في الأرض ، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة ، فهما محرمتان عليَّ كلتاهما ، كلما أردت أن أدخل واحدة، أو أحداً منهما،استقبلني ملك بيده السيف صلتا، يصدني عنهما ، وإن على كل نَقْب منها ملائكة يحرسونها .

قالت : قال رسول الله ﷺ ، وطعن بمخصرته في المنبر : (هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة) ، يعني : المدينة[1] .

وروى البخاري عن أبي بكرة،عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال ، ولها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب ملكان)[2].

وفي صحيح البخاري أيضاً عن أبي هريرة : أن الرسول ﷺ قال : (على أنقاب المدينة ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال)[3] .

٢٠ - نزول عيسى بصحبة ملكين :

في سنن الترمذي عن النواس بن سمعان عن النبي ﷺ : في ذكره

---

(١) رواه مسلم : ٤/٢٢٦٣ . ورقمه : ٢٩٤٢ .
(٢) صحيح البخاري : ١٣/٩٠ . ورقمه : ٧١٢٥ .
(٣) صحيح البخاري : ١٣/١٠١ . ورقمه : ٧١٢٣ .

حديث الدجال ، وفيه : (فبينما هو كذلك إذ هبط عيسى بن مريم بشرقي دمشق ، عند المنارة البيضاء ، شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً يده على أجنحة ملكين)[1] .

٢١ - الملائكة باسطة أجنحتها على الشام :

عن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يا طوبى للشام ، يا طوبى للشام) . قالوا يا رسول الله وبم ذلك ؟ قال : (تلك ملائكة الله باسطو أجنحتها على الشام)[2] .

٢٢ - ما في موافقة الملائكة من أجر وثواب :

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : (إذا أمّن الإمام ، فأمنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة ، غفر له ما تقدم من ذنبه)[3] .

وفي صحيح البخاري : (إذا قال أحدكم آمين ، وقالت الملائكة في السماء آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى ، غفر له ما تقدم من ذنبه)[4] .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : (إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهمَّ ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة ، غفر له ما تقدم من ذنبه)[5] .

---

(١) نزول عيسى عليه السلام ثابت في صحيح مسلم : ٢٢٥٩/٤ . حديث رقم : ٢٩٤٠ ، أما الحديث المذكور فرواه الترمذي . أنظر صحيح سنن الترمذي : ٢٤٩/٢ . ورقمه : ١٨٢٥ .

(٢) قال الشيخ ناصر ، في تخريج أحاديث فضائل الشام ، للربعي : « هو حديث صحيح أخرجه الترمذي ، والحاكم في المستدرك ، وأحمد في المسند ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب : ورواه ابن حبان في صحيحه ، والطبراني بإسناد صحيح » .

(٣) صحيح البخاري : ٢٦٢/٢ . ورقمه ٧٨٠ . ورواه مسلم : ٣٠٧/١ . ورقمه : ٤١٠ .

(٤) صحيح البخاري : ٢٦٦/٢ . ورقمه : ٧٨١ .

(٥) صحيح البخاري : ٢٨٣/٢ . ورقمه : ٧٩٦ .

المطلب الثاني : واجب المؤمن تجاه الملائكة

الملائكة عباد الله اختارهم واصطفاهم ، ولهم مكانة عند ربهم ، والمؤمن الذي يعبد الله ، ويتبع رضوانه لا مناص له من أن يتولى الملائكة بالحب والتوقير ، ويتجنب كل ما من شأنه أن يسيء إليهم ويؤذيهم ، وفي المبحث التالي نتناول شيئاً من ذلك بالبيان والتوضيح .

١ - عدم إيذاء الملائكة :

شدَّد العلماء النكير على من يسبُّ الملائكة أو يتكلم بكلام يعيبهم ، قال العلامة السيوطي رحمه الله تعالى : « قال القاضي عياض في الشفا : قال سحنون : من شتم ملكاً من الملائكة فعليه القتل ، وقال أبو الحسن القابسي في الذي قال لآخر : كأنه وجه مالك الغضبان : لو عرف أنه قصد ذم الملك قتل .

قال القاضي عياض : وهذا فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة ، أو على معين ممن حققنا كونه من الملائكة ، ممن نص الله عليه في كتابه ، أو حققنا علمه بالخبر المتواتر ، والمشتهر المتفق عليه بالإجماع القاطع، كجبريل ، وميكائيل ، ومالك ، وخزنة الجنة وجهنم ، والزبانية، وحملة العرش ، وعزرائيل ، وإسرافيل ، ورضوان ، والحفظة ، ومنكر ونكير .

فأما من لم تثبت الأخبار بتعيينه ، ولا وقع الإجماع على كونه من الملائكة كهاروت وماروت ، فليس الحكم فيهم ، والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه ؛ إذ لم تثبت لهم تلك الحرمة »[1] .

---

(١) الحبائك في أخبار الملائك ، للسيوطي : ٢٥٤ .

ونقل السيوطي عن القرافي المالكي قوله : « اعلم أنه يجب على كل مكلف تعظيم الأنبياء بأسرهم ، وكذلك الملائكة ، ومن نال من أعراضهم شيئاً فقد كفر ، سواء كان بالتعريض أو بالتصريح ، فمن قال في رجل يراه شديد البطش : هذا أقسى قلباً من مالك خازن النار ، وقال في رجل رآه مشوه الخلق : هذا أوحش من منكر ونكير ، فهو كافر ، إذا قال ذلك في معرض النقص بالوحاشة ، والقساوة »[1] .

٢ - البعد عن الذنوب والمعاصي :

أعظم ما يؤذي الملائكة الذنوب والمعاصي والكفر والشرك ، ولذا فإن أعظم ما يُهْدَى للملائكة ويرضيهم أن يخلص المرء دينه لربه ، ويتجنب كل ما يغضبه .

ولذا فإنَّ الملائكة لا تدخل الأماكن والبيوت التي يعصى فيها الله تعالى ، أو التي يوجد فيها ما يكرهه الله ويبغضه ، كالأنصاب والتماثيل والصور، ولا تقرب من تلبس بمعصية كالسكران .

قال ابن كثير[2] : ثبت في الحديث المروي في الصحاح والمسانيد والسنن من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله ﷺ أنه قال : (لا يدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جُنب) .

وفي رواية عن عاصم بن ضمرة عن علي : (ولا بول) ، وفي رواية رافع عن أبي سعيد مرفوعاً : (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو تمثال) ، وفي رواية ذكوان أبي صالح السماك عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تصحب الملائكة رفقة معهم كلب أو جرس)[3] .

---

(١) الحبائك في أخبار الملائك ، للسيوطي : ٢٥٥ .
(٢) البداية والنهاية : ١/٥٥ .
(٣) البداية والنهاية : ١/٥٥ .

وروى البزار بإسناد صحيح عن بريدة ، رضي الله عنه: أن الرسول ﷺ قال : (ثلاث لا تقربهم الملائكة : السكران ، والمتضمخ بالزعفران، والجنب)[1] .

وفي سنن أبي داود بإسناد حسن ، عن عمار بن ياسر أن الرسول ﷺ قال : (ثلاثة لا تقربهم الملائكة : جيفة الكافر ، والمتضمخ بالخلوق، والجنب إلا أن يتوضأ)[2] .

٣ - الملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم :

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ، فهم يتأذون من الرائحة الكريهة ، والأقذار والأوساخ .

روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبدالله عن النبيّ ﷺ قال : (من أكل الثوم والبصل والكراث ، فلا يقربنّ مسجدنا ؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم)[3] .

وقد بلغ الأمر بالرسول ﷺ أن أمر بالذي جاء إلى المسجد - ورائحة الثوم أو البصل تنبعث منه - أن يخرج إلى البقيع . (وهذا ثابت في صحيح مسلم)[4] .

٤ - النهي عن البصاق عن اليمين في الصلاة :

نهى الرسول ﷺ عن البصاق عن اليمين في أثناء الصلاة ؛ لأن المصلي إذا قام يصلي يقف عن يمينه ملك ، ففي صحيح البخاري عن أبي

---

(١) صحيح الجامع : ٣/ ٧٠ .
(٢) صحيح سنن أبي داود : ٢/ ٨٧٢ .
(٣) احاديث نهي من أكل البصل والثوم عن قربان المسجد في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما ، إلا أن هذا اللفظ رواه مسلم : ١/ ٣٩٤ . ورقمه : ٥٦٧ .
(٤) صحيح مسلم : ١/٣٩٦ . ورقمه : ٥٦٧ .

هريرة عن النبي ﷺ قال : (إذا قام أحدكم إلى الصلاة ، فلا يبصق أمامه، فإنما يناجي الله ما دام في مصلاه ، ولا عن يمينه ؛ فإن عن يمينه ملكاً، وليبصق عن يساره ، أو تحت قدمه فيدفنها)[1] .

٥ - موالاة الملائكة كلهم :

وعلى المسلم أن يحب جميع الملائكة ، فلا يفرق في ذلك بين ملك وملك ؛ لأنهم جميعاً عباد الله عاملون بأمره ، تاركون لنهيه ، وهم في هذا وحدة واحدة ، لا يختلفون ولا يفترقون . وقد زعم اليهود أن لهم أولياء وأعداء من الملائكة ، وزعموا أن جبريل عدو لهم ، وميكائيل ولي لهم ، فأكذبهم الله تعالى - في مدعاهم - وأخبر أن الملائكة لا يختلفون فيما بينهم : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

فأخبر سبحانه أن الملائكة كلهم وحدة واحدة فمن عادى واحداً منهم، فقد عادى الله وجميع الملائكة ، أمّا تولي بعض الملائكة ومعاداة بعض آخر، فهي خرافة لا يستسيغها إلا مثل هذا الفكر اليهودي المنحرف ، وهذه المقولة التي حكاها القرآن عن اليهود عذر واهٍ عللوا به عدم إيمانهم ، فزعموا أن جبريل عدوهم ؛ لأنه يأتي بالحرب والدمار ، ولو كان الذي يأتي الرسول ﷺ ميكائيل لتابعوه .

وراجع النصوص الواردة في سبب نزول هذه الآية في تفسير ابن كثير وغيره .

---

(١) صحيح البخاري : ٥١٢/١ . ورقمه : ٤١٦ .
(٢) سورة البقرة : ٩٧-٩٨ .

المبحث الرابع
الملائكة والكفار والفساق

وضحنا فيما سبق موقف الملائكة من المؤمنين ، وقد اتضح من خلال ذلك موقفهم من الكفرة ، فهم لا يحبون الكفرة الظالمين المجرمين ، بل يعادونهم ويحاربونهم ، ويزلزلون قلوبهم ، كما حدث في معركة بدر والأحزاب ، ونزيد الأمر هنا تفصيلاً وإيضاحاً بذكر ما لم نذكره هناك .

١ - إنزال العذاب بالكفار :

عندما كان يُكذَّب رسول من الرسل ، ويصرّ قومه على التكذيب ، كان الله ينزل في كثير من الأحيان بهم عذابه ، وكان الذي يقوم بالتعذيب أحياناً الملائكة .

٢ - إهلاكهم قوم لوط :

جاء الملائكة المأمورون بتعذيب قوم لوط في صورة شبان حسان الوجوه، واستضافهم لوط ، ولم يعلم قومه بهم ، فدلت زوجة لوط قومها عليهم، فجاءوا مسرعين ، يريدون بهم الفاحشة ، فدافعهم لوط ، وحاورهم ، فأبوا عليه ، فضربهم جبريل بجناحه ، فطمس أعينهم ، وأذهب بصرها : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ ﴾[1] .

---

(١) سورة هود : ٧٧ - ٨١ .

قال ابن كثير[1] : وذكروا أن جبريل - عليه السلام - خرج عليهم، فضرب وجوههم خفقة بطرف جناحه ، فطمست أعينهم ، حتى قيل غارت بالكلية ، ولم يبق لها محل ولا أثر . . . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾[2] .

وفي الصباح أهلكهم الله تعالى :﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾[3]. قال ابن كثير في تفسيره: قال مجاهد: «أخذ جبريل قوم لوط من سرحهم ودورهم ، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ، ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ، ثم كفأها ، وكان حملهم على خوافي جناحه الأيمن » . وذكر أقوالاً مقاربة لهذا القول ، ولم يورد حديثاً يشهد لهذا .

٣ - لعن الكفرة :

قال تعالى﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[4]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[5].

ولا تلعن الملائكة الكفرة فحسب ، بل قد تلعن من فعلوا ذنوباً معينة ومن هؤلاء :

---

(١) البداية والنهاية : ١/١٩٧ .
(٢) سورة القمر : ٣٧ .
(٣) سورة هود : ٨٢ - ٨٣ .
(٤) سورة آل عمران : ٨٦ -٨٧ .
(٥) سورة البقرة : ١٦١ .

أ - لعن الملائكة المرأة التي لا تستجيب لزوجها :

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء ، لعَنَتْها الملائكة حتى تصبح)[1] وفي رواية في الصحيح : (حتى ترجع)[2] .

ب - لعنهم الذي يشير إلى أخيه بحديدة :

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال أبو القاسم : (من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه ، حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمّه)[3] .

ولعن الملائكة يدل على حرمة هذا الفعل ، لما فيه من ترويع لأخيه، ولأنّ الشيطان قد يطغيه فيقتل أخاه ، خاصة إذا كان السلاح من هذه الأسلحة الحديثة ، التي قد تنطلق لأقل خطأ ، أو لمسة غير مقصودة ، وكم حدث أمثال هذا .

ج - لعنهم من سبّ أصحاب الرسول :

في معجم الطبراني الكبير عن ابن عباس بإسناد حسن : أن الرسول ﷺ قال : (من سبّ أصحابي ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين).

فيا عجباً لأقوامٍ جعلوا سبَّ أصحاب الرسول ﷺ ديناً لهم يتقربون به إلى الله ، مع أن جزاءَهم ما ذكره الرسول ﷺ هنا ، وهو جزاء رهيب.

---

(١) صحيح البخاري : ٢٩٣/٩ . ورقمه : ٥١٩٣ .
(٢) المصدر السابق : ٢٩٤/٩ . ورقمه : ٥١٩٤ .
(٣) صحيح مسلم : ٢٠٢٠/٤ . ورقمه : ٢٦١٦ .

د - لعنهم الذين يحولون دون تنفيذ شرع الله :

في سنن النسائي وسنن ابن ماجة ، بإسناد صحيح ، عن ابن عباس، رضي الله عنهما : أنَّ رسول الله ﷺ قال : (من قتلَ عمداً فقَود يديه ، فمن حال بينه وبينه فعليه لعنة الله ، والملائكة ، والناس اجمعين)[1] . فالذي يحول دون تنفيذ حكم الله في قتل القاتل عمداً بالجاه أو المال... فعليه هذه اللعنة ، فكيف بالذي يحول دون تنفيذ الشريعة كلها؟!

هـ - لعنهم الذي يؤوي محدثاً :

من الذين تلعنهم الملائكة كما يلعنهم الله الذين يحدثون في دين الله، بالخروج على أحكامه ، والاعتداء على تشريعه ، أو يؤوون من يفعل ذلك، ويحمونه ، كما في الحديث الصحيح : (من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله ، والملائكة ، والناس أجمعين)[2] .

والحدث في المدينة فيه زيادة في الاجرام ، ففي الصحيحين عن علي ابن أبي طالب قال : قال النبيُّ ﷺ أنه قال : (المدينة حرم ، ما بين عَيْر إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً ، أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله، والملائكة ، والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ، ولا عدلاً)[3] .

---

(1) صحيح سنن النسائي : ٣/٤٩٢ . ورقمه : ٤٤٥٦ ، ٤٤٥٧ . وصحيح سنن ابن ماجة : ٢/٩٦ : ورقمه : ٢١٣١ .
(2) صحيح سنن أبي داود : ٣/٨٥٩ . ورقمه : ٣٧٩٧ . وصحيح سنن النسائي : ٣/٩٨٢ . ورقمه : ٤٤١٢ .
(3) صحيح البخاري : ٤/٨١ . ورقمه : ١٨٧٠ .
ورواه مسلم : ٢/٩٩٤ . ورقمه : ١٣٧٠ . واللفظ لمسلم .

٩ - طلب الكفار رؤية الملائكة :

وقد طلب الكفار رؤية الملائكة للتدليل على صدق الرسول ﷺ ، فأخبرهم الله أن اليوم الذي يرون فيه الملائكة يوم شؤم عليهم ؛ إذ الكفار يرون الملائكة عندما يحلُّ بهم العذاب ، أو عندما ينزل بالإنسان الموت ، ويكشف عنه الغطاء : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ۝٢١ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾[1] .

---

(١) سورة الفرقان : ٢١ - ٢٢ .

الفصل الرابع

الملائكة وبقية المخلوقات

في الفصل الماضي بينت العلاقة بين الملائكة وبني آدم ، وليس هذا كل ما وُكل إلى الملائكة ؛ فإن الملائكة يقومون على مختلف شئون الكون مما نشاهده ، وما لا نشاهده .

وسأكتفي بذكر بعض ما جاء في ذلك من النصوص .

١ - حملة العرش :

العرش أعظم المخلوقات، محيط بالسموات وفوقها ، والرحمن مستو عليه، ويحمله من الملائكة ثمانية :﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[1] .

٢ - ملك الجبال :

وللجبال ملائكة ، وقد أرسل الله ملك الجبال إلى عبده ورسوله محمد ﷺ يستأمره في إهلاك أهل مكة ؛ ففي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة أنها قالت للنبي ﷺ : (يا رسول الله ، هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد ؟ فقال: لقد لقيت من قومك ، وكان أشدُّ ما لقيت منهم يوم العقبة[2] ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت .

(١) سورة الحاقة : ١٧ . وقد سبق أن بيّنا عظيم خلقهم في الفصل الذي تحدثنا فيه عن صفاتهم وقدراتهم .
(٢) موضع بمنى .

فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم استفق إلا بقرن الثعالب[1] فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال : إن الله عزّ وجل قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم .

قال : فناداني ملك الجبال ، وسلّم علي ، ثمَّ قال : يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربّك إليك لتأمرني بأمرك ، فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[2] ؟ فقال النبي ﷺ : (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)[3] .

٣ - الموكلون بالقطر والنبات والأرزاق :

يقول ابن كثير[4] « ميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق في هذه الدار ، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه ، يصرفون الرياح والسحاب ، كما يشاء الرب جلَّ جلاله .

ومن الملائكة ما هو موكل بالسحاب ، ففي سنن الترمذي عن ابن عباس : أن الرسول ﷺ قال : (الرعد ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار ، يسوق بها السحاب حيث شاء الله)[5]، وقد يسقي بلاداً دون بلاد ، أو قرية دون أخرى .

وقد يؤمر بأن يسقي زرع رجل واحد دون سواه ، كما في الحديث

---

(١) موضع بين مكة والطائف .
(٢) جبلان بمكة .
(٣) صحيح مسلم : ١٤٢٠/٣ . ورقمه : ١٧٩٥ . واللفظ له . ورواه البخاري : ٣١٢/٦ . ورقمه : ٣٢٣١ .
(٤) البداية والنهاية : ٥٠/١ .
(٥) صحيح سنن الترمذي : ٦٤/٣ . ورقمه : ٢٤٩٢ .

الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (بينا رجل بفلاة من الأرض ، فسمع صوتاً في سحابة : اسق حديقة فلان؛ فتنحى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءَه في حرّة ، فإذا شرجة من تلك الشراج[1] قد استوعبت ذلك الماء كله .

فتتبع الماء ، فإذا رجل قائم في حديقته ، يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبدالله ، ما اسمك ؟ قال : فلان ، للاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له : يا عبدالله ، لم تسألني عن اسمي ؟ قال : إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان ، لاسمك ، فما تصنع فيها ؟ قال : أمّا إذ قلت هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها ، فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثاً ، وأرد فيها ثلثه)[2].

وعلى كل فالملائكة موكلون بالسموات والأرض ، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[3]، وقال: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾[4]، ويزعم المكذبون للرسل المنكرون للخالق أن النجوم هي التي تقوم بذلك كله، فالذي يدبر ذلك كله الملائكة بأمر الله تعالى، كما قال: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾[5].

وقال : ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[6]، وقال : ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ

---

(١) الشرجة : مسيل الماء .
(٢) صحيح مسلم : ٢٢٨٨/٤ . ورقمه : ٢٩٨٤ .
(٣) سورة النازعات : ٥ .
(٤) سورة الذاريات : ٤ .
(٥) سورة المرسلات : ١ - ٥ .
(٦) سورة النازعات : ١ - ٥ .

ذِكْرًا﴾[1].

فكل هذه الآيات حديث عن الملائكة حال قيامها بتدبير شؤون السموات والأرض .

(1) سورة الصافات : ١ -٣ .

الفصل الخامس

المفاضلة بين الملائكة وبني البشر

الخلاف في المسألة قديم :

قال ابن كثير[1] : « قد اختلف الناس في تفضيل الملائكة على البشر على أقوال : فأكثر ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلمين ، والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم .

وأقدم كلام رأيته في هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص : « أنّه حضر مجلساً لعمر بن عبدالعزيز وعنده جماعة ، فقال عمر : ما أحد أكرم على الله من كريم بني آدم، واستدل بقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾[2]. ووافقه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد.

فقال عراك بن مالك : ما أحد أكرم على الله من ملائكته ، هم خدمة دارَيْه، ورسله إلى أنبيائه، واستدل بقوله تعالى:﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾[3] .

فقال عمر بن عبدالعزيز لمحمد بن كعب القرظي : ما تقول أنت يا

---

(١) البداية والنهاية : ١/٥٨ .
(٢) سورة البينة : ٧ .
(٣) سورة الأعراف : ٢٠ .

أبا حمزة ؟ فقال : قد أكرم الله آدم فخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وجعل من ذريته الأنبياء ، والرسل ومن يزوره الملائكة .

فوافق عمر بن عبدالعزيز في الحكم واستدل بغير دليله » .

وهذا الذي ذكره ابن كثير من كلام عمر بن عبدالعزيز وجلسائه في هذه المسألة يبين خطأ ما قاله تاج الدين الفزاري ، حيث يقول : « هذه المسألة من بدع علم الكلام ، التي لم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة ، ولا من بعدهم من أعلام الأئمة »[1] ، بل قد ثبت أن بعض الصحابة تكلموا في شيء من ذلك ، فهذا عبدالله بن سلام يقول : « ما خلق الله خلقا أكرم عليه من محمد . فقيل له : ولا جبريل ولا ميكائيل » ؟

فقال للسائل : « أتدري ما جبريل وميكائيل ؟ إنما جبريل وميكائيل خلق مسخر كالشمس والقمر ، وما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ» . رواه الحاكم في مستدركه وصححه هو والذهبي[2] .

الأقوال في المسألة :

يذكر شارح الطحاوية أنه ينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة ، وأن المعتزلة يفضلون الملائكة ، وأتباع الأشعري على قولين ، منهم من يفضل الأنبياء والأولياء ، ومنهم من يقف، ولا يقطع في ذلك قولاً ، وحكي عن بعضهم ميل إلى تفضيل الملائكة، وحكى ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية .

وقالت الشيعة : إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة . ومن

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ٣٣٩ .

(٢) راجع تحقيق الألباني على شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٤٢ .

الناس من فصّل تفصيلاً آخر .

ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر : إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض ، وذكر أن أبا حنيفة ، رحمه الله ، توقف في الجواب عن هذه المسألة ، وإلى التوقف جنح شارح الطحاوية رحمه الله [1] .

وذكر السفاريني[2] أنَّ الإمام أحمد ، رحمه الله ، كان يقول : «يخطىء من فضل الملائكة ، وقال : كل مؤمن أفضل من الملائكة » .

موطن النزاع :

لا خلاف في أن الكفرة والمنافقين غير داخلين في المفاضلة ، فهؤلاء أضل من البهائم: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[3] .

ولا نعني بالمفاضلة : التفضيل بين حقيقة البشر وحقيقة الملائكة ، وإنّما المفاضلة بين صالحي البشر والملائكة ، وإن ذهب بعض الناس إلى أن الملائكة أفضل من سائر المؤمنين ، والنزاع عندهم في المفاضلة بين الأنبياء والملائكة .

حجة الذين يفضلون صالحي البشر على الملائكة :

بعد أن حررنا محل النزاع نبين حجة الذين ذهبوا إلى تفضيل البشر .

الدليل الأول : أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم ، فلولا فضله لما أمروا بالسجود له : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾ [4] .

ورد بعضهم أن السجود كان لله ، وآدم إنما كان قبلة لهم ، ولو كان

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ٣٣٨ .
(٢) لوامع الأنوار البهية : ٣٩٨/٢ .
(٣) سورة الأعراف : ١٧٩ .
(٤) سورة البقرة : ٣٤ .

هذا صحيحاً لقال: اسجدوا إلى آدم، وما قال: ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ .

ولو كان المقصود اتخاذ آدم قبلة لما امتنع من السجود، ولما زعم أنّه خير من آدم، فإنّ القبلة تكون أحجاراً ،وليس في اتخاذها قبلة تفضيل لها.

صحيح أن سجود الملائكة لآدم كان عبادة لله ، وطاعة له ، وقربة يتقربون بها إليه ، إلا أنه تشريف لآدم وتكريم وتعظيم .

ولم يأتِ أن آدم سجد للملائكة ، بل لم يؤمر آدم وبنوه بالسجود إلا لله رب العالمين ؛ لأنّهم – والله أعلم – أشرف الأنواع ، وهم صالحو بني آدم ، ليس فوقهم أحد يحسن السجود له إلا الله رب العالمين .

الدليل الثاني قوله قصصاً عن إبليس: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾[1]، فإن هذا نص في تكريم آدم على إبليس إذ أمر بالسجود له.

الدليل الثالث : أن الله تعالى خلق آدم بيده ، وخلق الملائكة بكلمته.

الدليل الرابع : قوله تعالى : ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2] . فالخليفة يفضل على من ليس خليفة ، وقد طلبت الملائكة أن يكون الاستخلاف فيهم ، والخليفة منهم حيث قالوا : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[3] . فلولا أن الخلافة درجة عالية أعلى من درجاتهم لما طلبوها وغبطوا صاحبها .

الدليل الخامس: تفضيل بني آدم عليهم بالعلم حين سألهم الله عزّ وجلّ عن علم الأسماء ، فلم يجيبوه ؛ بل اعترفوا أنهم لا يحسنونها، فأنبأهم آدم بذلك، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4]

---

(١) سورة الإسراء : ٦١ .
(٢) سورة البقرة : ٣٠ .
(٣) سورة البقرة : ٣٠ .
(٤) سورة الزمر : ٩ .

الدليل السادس : ومما يدل على تفضيلهم أن طاعة البشر أشقُّ ، والأشق أفضل ، فإن البشر مجبولون على الشهوة ، والحرص ، والغضب، والهوى ، وهي مفقودة في الملك .

الدليل السابع : أن السلف كانوا يحدثون الأحاديث المتضمنة فضل صالحي البشر على الملائكة ، وتروى على رؤوس الناس ، ولو كان هذا منكراً لأنكروه ، فدلَّ على اعتقادهم ذلك .

الدليل الثامن : مباهاة الله بهم الملائكة : فالله يباهي بعباده الملائكة ، إذا أدوا ما أوجبه عليهم وأمرهم به . فإذا صلوا الفريضة باهى بهم الملائكة، ففي المسند وابن ماجة عن عبدالله : أن الرسول ﷺ قال: (أبشروا ، هذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء، يباهي بكم الملائكة ، يقول: انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة،وهم ينتظرون أخرى)[1] .

وعن أبي هريرة : أن الرسول ﷺ قال : (إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء ، فيقول لهم : انظروا إلى عبادي هؤلاء جاؤوني شعثاً غبراً) . إسناده صحيح ، رواه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم ، والبيهقي في السنن[2] .

والذين فضلوا الملائكة احتجوا بمثل حديث : (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) .

واحتجوا بأن بني آدم فيهم النقص والقصور ، وتقع منهم الزلات والهفوات، واحتجوا بمثل قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾[3]. وهذا يدل على فضل الملائكة على البشر.

---

(١) صحيح الجامع : ١/٦٧ .
(٢) صحيح الجامع : ٢/١٤١ .
(٣) سورة الأنعام : ٥٠ .

تحقيق القول في ذلك :

وتحقيق القول في ذلك ما ذكره ابن تيمية من أن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية ، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ، ونالوا الزلفى ، وسكنوا الدرجات العلا ، وحياهم الرحمن ، وخصهم بمزيد قربه ، وتجلى لهم ، يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم ، وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم .

والملائكة أفضل باعتبار البداية ، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى، منزهون عمّا يلابسه بنو آدم ، مستغرقون في عبادة الرب ، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر .

قال ابن القيم : وبهذا التفصيل يتبين سرّ التفضيل ، وتتفق أدلة الفريقين، ويصالح كل منهم على حقه[1] . والله أعلم بالصواب .

---

(١) ومن أراد مزيداً من البحث في هذه المسالة فليرجع إلى (مجموع الفتاوى) : ١١/ ٣٥٠ ، وإلى (لوامع الأنوار البهية : ٢/ ٣٦٨) ، وإلى (شرح العقيدة الطحاوية : ٣٣٨) . وقد طبع كتاب السيوطي (الحبائك في أخبار الملائك) . وفيه مبحث طويل في المفاضلة بين الملائكة وبني آدم من ص : ٢٠٣ إلى ٢٥١ .

أهم المراجع

- البداية والنهاية لابن كثير. مكتبة المعارف، بيروت. الثانية. ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م.
- بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة. ١٣٨٣م.
- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم). دار الأندلس. بيروت. الأولى. ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م.
- الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي . دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة لناصر الدين الالباني . المكتب الإسلامي . دمشق. الاولى .
- شرح العقيدة الطحاوية لمحمد بن محمد بن أبي العز الحنفي. المكتب الإسلامي. بيروت. ١٣٩١هـ .
- صحيح البخاري (الجامع الصحيح) بشرحه فتح الباري . المطبعة السلفية ومكتبتها. القاهرة .
- صحيح الجامع الصغير . المكتب الإسلامي . بيروت. الأولى .
- صحيح سنن ابن ماجة للألباني. نشره مكتب التربية العربي لدول الخليج. الثانية. ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- صحيح سنن أبي داود . المكتب الإسلامي . بيروت . الأولى . ١٤٠٩هـ. ١٩٨٠م .

- صحيح سنن الترمذي للألباني. نشره مكتب التربية العربي لدول الخليج. الأولى. ١٣٠٨هـ ١٩٨٨م .
- صحيح سنن النسائي . المكتب الإسلامي . بيروت . الأولى . ١٤٠٩هـ . ١٩٨٨م .
- صحيح مسلم (الجامع الصحيح). تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. طبعة دار إحياء الكتب العربية. مصر. الأولى. ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. لابن حجر العسقلاني. المكتبة السلفية. القاهرة.
- لوامع الأنوار البهية . للسفاريني . طبع دولة قطر .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. (جمع ابن قاسم) طبعته حكومة المملكة العربية السعودية. الأولى. ١٣٨١هـ .
- مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي. المكتب الإسلامي. دمشق. الأولى١٣٨٠هـ.

الفهرس

يُطلب هذا الكتاب في
المملكة العربية السعودية
من
دار الهجرة للنشر والتوزيع
ص.ب ٢٠٥٩٧ الثقبة ٣١٩٥٢ الخبر
تلفون الخبر: ٨٩٨٣٠٠٤ تلفون الرياض: ٤٧٩٢٠٥٥

